



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>



Druck von **C. R. Schurich** in München.

Druck von **C. R. Schurich** in München.

صفة غير الصفة التي يتعلّق بها العلم المحدث لا أنّه غير متعلّق أصلاً
 كما حكى عن الفلاسفة أنّهم يقولون لموضع هذا الشكّ أنّه سبحانه لا
 يعلم الجزئيات وليس الأمر كما توقّف عليهم بل يرون أنّه لا يعلم الجزئيات
 بالعلم المحدث الذى من شرطه الحدوث بمحدثها ان كان علّة لها لا
 معلولاً عنها كالحال فى العلم المحدث وهذا هو غاية التنزيه الذى يجب ان
 يعترف به فانه قد اضطرّ البرهان الى أنّه عالم بالاشياء لأنّ صدورها عنه
 انما هو من جهة أنّه عالم لا من جهة أنّه موجود فقط او موجود بصفة
 كذا بل من جهة أنّه عالم كما قال تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف
 الخبير وقد اضطرّ البرهان الى أنّه غير عالم بها بعلم هو على صفة العلم
 المحدث فواجب ان يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يكتفى وهو
 العلم القديم سبحانه وكيف يمكن ان يتصوّر انّ المشائين من الحكماء يرون
 ان العلم القديم لا يحيط بالجزئيات وهم يرون أنّه سبب الانذار فى المنامات
 والوحى وغير ذلك من انواع الالهامات فهذا ما ظهر لنا فى وجه حلّ هذا
 الشكّ وهو امر لا مريّة فيه ولا شكّ والله الموفق للصواب والمرشد للحقّ
 والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

كمل

ذلك في المضاف أنه قد تكون الاسطوانة الواحدة يمينه زيد ثم تعود يسرته وزيد بعد لم يتغير في نفسه وليس بصادق فإن الاضافة قد تغيرت في نفسها وذلك ان الاضافة التي كانت يمينه قد عادت يسرة وانما الذي لم يتغير هو موضوع الاضافة اعني الحامل لها الذي هو زيد واذا كان ذلك كذلك وكان العلم هو نفس الاضافة فقد يجب ان يتغير عند تغير المعلوم كما تتغير اضافة الاسطوانة الى زيد عند تغيرها وذلك اذا عادت يسرة بعد ان كانت يمينه والذي ينحل به هذا الشك عندنا فهو ان يعرف الحال في العلم القديم مع الموجود خلاف الحال في العلم المحدث مع الموجود وذلك ان وجود الموجود هو علة وسبب لعلنا والعلم القديم هو علة وسبب للموجود فلو كان اذا وجد الموجود بعد ان لم يوجد حدث في العلم القديم علم زائد كما يحدث ذلك في العلم المحدث للزم ان يكون العلم القديم معلولاً للموجود لا علة له فاذاً واجب ان لا يحدث هنالك تغير كما يحدث في العلم المحدث وانما اتى هذا الغلط من قياس العلم القديم على العلم المحدث وهو قياس الغائب على الشاهد وقد عرف فساد هذا القياس وكما انه لا يحدث في الفاعل تغير عند وجود مفعوله اعني تغيراً لم يكن قبل ذلك كذلك لا يحدث في العلم القديم سبحانه تغير عند حدوث معلومه عنه فاذاً قد انحل الشك ولم يلزمنا انه اذا لم يحدث هنالك تغير اعني في العلم القديم فليس يعلم الموجود في حين حدوثه على ما هو عليه وانما لزم الا يعلمه بعلم محدث الا بعلم قديم لان حدوث التغير في العلم عند تغير الموجود انما هو شرط في العلم المعلول عن الموجود وهو العلم المحدث فاذاً العلم القديم انما يتعلق بالموجود على

فيجب على هذا اذا اختلف الشيء في نفسه ان يكون العلم به يختلف والآ
فقد علم على غير ما هو عليه فاذاً يجب احد امرين اما ان يختلف العلم
القديم في نفسه او تكون الحادثات غير معلومة له وكلا الامرين مستحيل
عليه سبحانه ويؤكد هذا الشك ما يظهر من حال الانسان اعني من
تعلق علمه بالاشياء المعدومة على تقدير الوجود وتعلق علمه بها اذا
وجدت فانه من البين بنفسه ان العلمين متغايران والآ كان جاهلاً
بوجودها في الوقت الذي وجدت فيه وليس ينجلي من هذا ما جرت به
عادة المتكلمين في الجواب عن هذا بانه تعالى يعلم الاشياء قبل كونها على
ما تكون عليه في حين كونها من زمان ومكان وغير ذلك من الصفات
المختصة بموجود موجود فانه يقال لهم فاذا وجدت فهل حدث هنالك
تغير او لم يحدث وهو خروج الشيء من العدم الى الوجود فان قالوا لم
يحدث فقد كبروا وان قالوا حدث هنالك تغير قيل لهم فهل حدث هذا
التغير معلوم للعلم القديم ام لا فيلزم الشك المتقدم وبالجمل فيعسر ان
يتصور ان العلم بالشيء قبل ان يوجد والعلم به بعد ان وجد علم واحد
بعينه فهذا هو تقرير هذا الشك على ابلغ ما يمكن ان يقرر به على ما
فارضناكم فيه . . . وحل هذا الشك يستدعي كلاماً طويلاً الا انا هاهنا
نقصد للنكتة التي بها ينحل وقد رام ابو حامد حل هذا الشك في كتابه
المرسوم بالتهافت بشي ليس فيه مقنع وذلك انه قال قولاً معناه هذا وهو
انه زعم ان العلم والمعلوم من المضاف وكما انه قد يتغير احد المضافين
ولا يتغير المضاف الآخر في نفسه كذلك يشبه ان يعرض للاشياء في علم
الله سبحانه اعني ان تتغير في انفسها ولا يتغير علمه سبحانه بها ومثال

ضريبة

المسئلة التي ذكرها ابو الوليد في فصل المقال رضى الله عنه

ادام الله عزتكم وابقى بركتكم وحجب عيون النوائب عنكم لما فقمتم
 بجودة ذهنكم وكريم طبعكم كثيراً ممن يتعاطى هذه العلوم وانتهى نظرهم
 السديد الى ان وقفتم على الشك العارض في علم القديم سبحانه مع كونه
 متعلقا بالاشياء المحدثه عنه وجب علينا لمكان الحق ولمكان ازالة هذه
 الشبهة عنكم ان نحل هذا الشك بعد ان نقول في تقريره فانه من لم يعرف
 الربط لم يقدر على الحل والشك يلزم هكذا ان كانت هذه كلها في علم
 الله سبحانه قبل ان تكون فهل هي في حال كونها في علمه كما كانت فيه
 قبل كونها ام هي في علمه في حال وجودها على غير ما كانت عليه في علمه
 قبل ان توجد فان قلنا انها في علم الله في حال وجودها على غير ما
 كانت عليه في علمه قبل ان توجد لزم ان يكون العلم القديم متغيرا وان
 يكون اذا خرجت من العدم الى الوجود قد حدث هنالك علم زائد وذلك
 مستحيل على العلم القديم وان قلنا ان العلم بها واحد في الحالتين قيل
 فهل هي في نفسها اعنى الموجودات الحادثة قبل ان توجد كما هي حين
 وجدت فسيجب ان يقال ليست في نفسها قبل ان توجد كما هي حين
 وجدت والا كان الوجود والمعدوم واحدا فاذا سلم الخصم هذا قيل له
 افليس العلم الحقيقي هو معرفة الوجود على ما هو عليه فاذا قال نعم قيل

من لم تتميز له هذه المواضع ولا تميز له الصنف من الناس الذين يجوز التأويل في حقهم اضطرب الامر فيها وحدث فيهم فرق متباينة يكفر بعضهم بعضاً وهذا كله جهل بمقصد الشرع وتعدّي عليه وانت فقد وقفت من قولنا على مقدار الخطأ الواقع من قبل التأويل وبودنا ان يتفق لنا هذا الغرض في جميع اقاويل الشريعة اعنى ان نتكلم فيها بما ينبغي ان يؤول اولا يؤول وان اول فعند من يؤول اعنى في جميع المشكل الذى فى القرآن والحديث ونعرف رجوعها كلها الى هذه الاصناف الاربعة والغرض الذى قصدناه فى هذا الكتاب فقد انقضى وانما قدّمناه لانا راينا ان اقم الاغراض المتعلقة بالشرع والله الموفق للصواب والكفيل بالثواب بمنه ورحمته وكان الفراغ منه فى سنة خمس وسبعين وخمسائة

كمل

رياض الجنة ومنبرى على حوضى وقوله كذا ابن آدم ياكله التراب الا عجب
الذنب فان هذه كلها تدرك بعلم قريب انها امثال وليس يدرك لماذا هي
امثال الا بعلم بعيد فيجب في هذا ان ينزل للمصنف الذين شعروا بهذا
من الناس على اقرب تلك الوجودات الاربع شبهاً فهذا النحو من التأويل
اذا استعمل في هذه المواضع وعلى هذا الوجه ساغ في الشريعة واما اذا
استعمل في غير هذه المواضع فهو خطأ وابو حامد لم يفصل الامر في ذلك
مثل ان يكون الموضع يعرف منه الامران جميعا بعلم بعيد اعنى كونه مثالا
ولماذا هو مثال فيكون هنالك شبهة توفى في بادى الرأى انه مثال وتلك
الشبهة باطلة فان الواجب في هذا ان تبطل تلك الشبهة ولا يعرض
للتأويل كما عرفت انك في هذا الكتاب في مواضع كثيرة عرض فيها هذا الامر
للمتكلمين اعنى الاشعرية والمعتزلة واما الصنف الرابع وهو المقابل لهذا
وهو ان يكون كونه مثالا معلوماً بعلم بعيد الا انه اذا سلم انه مثال ظهر
عن قريب لماذا هو مثال ففى تأويل هذا ايضا نظر اعنى عند الصنف
الذين يدركون انه ان كان مثالا فلماذا هو وليس يدركون انه مثال الا
بشبهة وامر مقنع اذ ليسوا من العلماء الراشدين في العلم فيحتمل ان يقال
ان الاحفظ بالشرع الا تتأول هذه وتبطل عند هؤلاء الامر التى ظنوا من
قبلها ان ذلك القول مثال وهو الاولى ويحتمل ايضا ان يطلق لهم التأويل
لقوة الشبه الذى بين ذلك الشئ وذلك الممثل به الا ان هذين الصنفين
متى ابيح التأويل فيهما تولدت منها اعتقادات غريبة وبعيدة من ظاهر
الشريعة وربما فشت فانكرها الجمهور وهذا هو الذى عرض للمصوفة ولمن
سلك من العلماء هذا المسلك ولما تسلط على التأويل في هذه الشريعة

لماذا هو مثال ويعلم بعلم بعيد أنه مثال فاما الصنف الاول من الصنفين
 الاولين فتأويله خطأ بلا شك واما الصنف الاول من الثاني وهو البعيد في
 الامرين جميعاً فتأويله خاص في الراضين في العلم ولا يجوز التصريح به
 لغير الراضين واما المقابل لهذا وهو القريب في الامرين فتأويله هو
 المقصود منه والتصريح به واجب [واما الصنف الثالث فالامر فيه ليس كذلك]
 لان هذا الصنف لم يات فيه التمثيل من اجل بعده على افهام الجمهور
 وانما اتى فيه التمثيل لتحريك النفوس اليه وهذا مثل قوله عليه السلام
 الحجر الاسود يبين الله في الارض وغيره مما اشبه هذا مما يعلم بنفسه او
 بعلم قريب أنه مثال ويعلم بعلم بعيد لماذا هو مثال فان الواجب في هذا
 ألا يتأوله إلا الخواص والعلماء ويقال للذين شعروا أنه مثال ولم يكونوا من
 اهل العلم لماذا هو مثال اما أنه من المتشابه الذي يعلمه العلماء
 الراضون واما ان ينقل التمثيل فيه لهم الى ما هو اقرب من معارفهم أنه
 مثال وهذا كأنه اولى من جهة ازالة الشبهة التي في النفس من ذلك
 والقانون في هذا النظر هو ما سلكه ابو حامد في كتاب التفرقة وذلك بان
 يعرف هذا الصنف ان الشئ الواحد بعينه له وجودات خمس الوجود الذي
 يسميه ابو حامد الذاتى والحسى والخيالى والعقلى والشبهى فاذا وقعت
 المسئلة نظر اى هذه الوجودات الاربع هى ائتم عند الصنف الذى استحال
 عندهم ان يكون الذى عنى به هو الوجود الذاتى اعنى الذى هو خارج
 فينزل لهم هذا التمثيل على ذلك الوجود الاغلب على ظنهم امكان
 وجوده وفي هذا النحو يدخل قوله عليه السلام ما من نبى لم اره الا وقد
 رايت في مقامى هذا حتى الجنة والنار وقوله بين حوضى ومنبرى روضة من

تعتّل فعلها في النوم لفساد ذاتها ولو كان ذلك كذلك لما عادت عند الانتباه على هيئتها فلما كانت تعود عليها علمنا أنّ هذا التعطل لا يعرض لها لامر لحقها في جوهرها وانما هو شيء لحقها من قبل تعطل آلتها وانه ليس يلزم اذا تعطلت الآلة ان تتعطل النفس والموت هو تعطل فواجب ان يكون للآلة كالحال في النوم وكما يقول الحكيم ان الشيخ لو وجد عيناً معين الشاب لأبصر كما يبصر الشاب فهذا ما رأينا ان ثبتته في الكشف عن عقائد هذه الملة التي هي ملتنا ملة الاسلام . وقد بقي علينا ما وعدنا به ان ننظر فيما يجوز من التاويل في الشريعة وما لا يجوز وما جاز منه فلمن يجوز ونختم به القول في هذا الكتاب فنقول ان المعاني الموجودة في الشرع توجد على خمسة اصناف وذلك انها تنقسم اولاً الى صنفين صنف غير منقسم وينقسم الاخر منهما الى اربعة اصناف فالصنف الاول الغير منقسم هو ان يكون المعنى الذي صرح به هو بعينه المعنى الموجود بنفسه والصنف الثاني المنقسم هو ان لا يكون المعنى المصرح به في الشرع هو المعنى الموجود وانما اخذ بدله على جهة التمثيل وهذا الصنف ينقسم اربعة اقسام اولها ان يكون المعنى الذي صرح بمثاله لا يعلم وجوده الا بمقاييس بعيدة مركبة تتعلم في زمان طويل وصنائع جمة وليس يمكن ان تقبلها الا الفطر الفاتكة ولا يعلم ان المثال الذي صرح به فيه هو غير الممثل الا بمثل هذا البعد الذي وصفنا والثاني مقابل هذا وهو ان يكون يعلم بعلم قريب منه الامران جميعاً اعني كون ما صرح به انه مثال ولماذا هو مثال والثالث ان يكون يعلم بعلم قريب انه مثال لشيء ويعلم لماذا هو مثال بعلم بعيد والرابع عكس هذا وهو ان يعلم بعلم قريب

هذه بالية وتلك باقية ولهذه ايضا حجج من الشرع ويشبه ابن عباس ان يكون ممن يرى هذا الرأى لانه روى عنه انه قال ليس في الدنيا من الآخرة الا الاسماء ويشبه ان يكون هذا الرأى هو اليق بالخواص وذلك ان امكان هذا الرأى ينبني على امور ليس فيها منازعة عند الجميع احدها ان النفس باقية والثاني انه ليس يلحق عن عودة النفس الى اجسام آخر المحال الذي يلحق عن عودة تلك الاجسام بعينها وذلك انه يظهر ان مواد الاجسام التي هاهنا توجد متعاقبة ومنقلة من جسم الى جسم واعنى ان المادة الواحدة بعينها توجد لاشخاص كثيرة في اوقات مختلفة وامثال هذه الاجسام ليس يمكن ان توجد كلها بالفعل لان مادتها هي واحدة مثال ذلك ان انسانا مات واستحال جسمه الى التراب واستحال ذلك التراب الى نبات فاغذى انسان آخر من ذلك النبات فكان منه منى تولد منه انسان آخر واما اذا فرضت اجسام آخر فليس تلحق هذه الحال والحق في هذه المسألة ان فرض كذا انسان فيها هو ما أدى اليه نظره فيها بعد ان لا يكون نظراً يفضى الى ابطال الاصل جملة وهو انكار الوجود جملة فان هذا النحو من الاعتقاد يوجب تكفير صاحبه لكون العلم بوجود هذه الحال للانسان معلوماً للناس بالشرائع والعقول فهذا كله ينبني على بقاء النفس . فان قيل فهل في الشرع دليل على بقاء النفس او تنبيه على ذلك قلنا ذلك موجود في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية ووجه الدليل في هذه الآية انه سوي فيها بين النوم والموت في تعطيل فعل النفس فلو كان تعطل فعل النفس في الموت لفساد النفس لا بتغير آلة النفس لقد كان يجب ان يكون

الشبيهة وأما قياس إمكان وجود الاقْد على وجود الاكثر فمثل قوله تعالى في الآية اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم فهذه الآيات تضمنت دليلين على البعث وابطال حجة الجاحد للبعث ولو ذهبنا لنقضى الآيات الواردة في الكتاب العزيز لهذه الادلة لطال القول وهي كلها من الجنس الذى وصفنا . فالشرائع كلها كما قلنا متفقة على ان للنفوس من بعد الموت احوالاً من السعادة او الشقاء ويختلفون في تمثيل هذه الاحوال وتفهم وجودها للناس ويشبه ان يكون التمثيل الذى في شريعتنا هذه اتم افهاماً لاكثر الناس واكثر تحريكاً لنفوسهم الى ما هنالك والاكثر هم المقصود الاول بالشرائع وأما التمثيل الروحاني فيشبه ان يكون اقْد تحريكاً لنفوس الجمهور الى ما هنالك والجمهور اقْد رغبة فيه وخوفاً له منهم في التمثيل الجسماني ولذلك يشبه ان يكون التمثيل الجسماني اشد تحريكاً الى ما هنالك من الروحاني والروحاني اشد قبولاً عند المتكلمين المجادلين من الناس وهم الاقْد . ولهذا المعنى نجد اهل الاسلام في فهم التمثيل الذى جاء في ملتنا في احوال المعاد ثلاث فرق فرقة رأت ان ذلك الوجود هو بعينه هذا الوجود الذى هاهنا من النعيم واللذة اعنى انهم رأوا انه واحد بالجنس وانه انما يختلف الوجودان بالدوام والانقطاع اعنى ان ذلك دائم وهذا منقطع وطائفة رأت ان الوجود متباين وهذه انقسمت قسمين طائفة رأت ان الوجود الممثل بهذه المكسوسات هو روحاني وانه انما مثل به ارادة البيان ولهؤلاء حجج كثيرة من الشريعة مشهورة فلا معنى لتعديدها وطائفة رأت انه جسماني لاكن اعتقدت ان تلك الجسمانية الموجودة هنالك مخالفة لهذه الجسمانية لكون

انّها مثلت اللّذات المدركة هنالك باللذات المدركة هاهنا بعد ان نفى عنها ما يقترن بها من الاذى ومثلوا الاذى الذى يكون هنالك بالاذى الذى يكون هاهنا بعد ان نفوا عنه هنالك ما يقترن به هاهنا من الراحة منه امّا لانّ اصحاب هذه الشرائع ادركوا من هذه الاحوال بالوحى ما لم يدركها اولئك الذين مثلوا بالوجود الروحاني واما لانهم رأوا انّ التمثيل بالمحسوسات هو اشدّ تفهيمًا للجمهور والجمهور اليها وعنها اشدّ تحرّكًا فاخبروا انّ الله تعالى يعيد النفوس السعيدة الى اجساد تنعم فيها الدهر كلّها باشدّ المحسوسات نعيمًا وهو مثلاً الجنّة وانه تعالى يعيد النفوس الشقيّة الى اجساد تتأذى فيها الدهر كلّها باشدّ المحسوسات اذى وهو مثلاً النار وهذه هي حال شريعتنا هذه التي هي الاسلام في تمثيل هذه الحال ووردت عندنا في الكتاب العزيز ادلّة مشتركة التصديق للجميع في امكان هذه الاحوال اذ ليس يدرك العقل في هذه الاشياء اكثر من الامكان في الادراك المشترك للجميع وهي كلّها من باب قياس امكان وجود المساوى على وجود مساويه اعنى على خروجه للوجود وقياس امكان وجود الاقل والاكثر على خروج الاعظم والاكبر للوجود مثل قوله وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه الآية فانّ الحجّة في هذه الآيات هي من جهة قياس العودة على البدأة وهما متساويان وفي هذه الآية مع هذا القياس المثبت لامكان العودة كسر لشبهة المعاند لهذا الراى بالفرق بين البداية والعودة وهو قوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا والشبهة انّ البداءة كانت من حرارة ورطوبة والعودة من برد ويبس فعوندت هذه الشبهة بانّا نحسّ انّ الله تعالى يخرج الضدّ من الضدّ ويخلق منه كما يخلق الشبيه من

فامرت بالفضائل ونهت عن الرذائل وعرفت بالمقدار الذى فيه سعادة جميع الناس فى العلم والعمل اعنى السعادة المشتركة فعرفت من الامور النظرية ما لا بد لجميع الناس من معرفته وهى معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة الملائكة ومعرفة الموجودات الشريفة ومعرفة السعادة وكذلك عرفت من الاعمال القدر الذى تكون به النفوس فاضلة بالفضائل العملية وبخاصة شريعتنا هذه فانه اذا قريست بسائر الشرائع وجد انها الشريعة الكاملة باطلاق ولذلك كانت خاتمة الشرائع ولما كان الروحى قد اندر فى الشرائع كلها بان النفس باقية وقامت البراهين عند العلماء على ذلك وكانت النفوس يلحقها بعد الموت ان تتعزى من الشهوات الجسائية فان كانت زكية تضاعف ركاؤها بتعزيتها من الشهوات الجسائية وان كانت خبيثة زادت بها المفارقة خبثا لانها تتاذى بالرذائل التى اكتسبت وتشتد حسرتها على ما فاتها من التزكية عند مفارقتها البدن لانها ليست يمكنها الاكتساب الا مع هذا البدن والى هذا المقام الاشارة بقوله ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين اتفقت الشرائع على تعريف هذه الحال للناس وستوها السعادة الاخيرة والشقاء الاخير ولما كانت هذه الحال ليس لها فى الشاهد مثال وكان مقدار ما يدرك بالروحى منها يختلف فى حق نبى نبى لتفاوتهم فى هذا المعنى اعنى فى الروحى اختلفت الشرائع فى تمثيل الاحوال التى تكون لانفس السعداء بعد الموت ولانفس الاشقياء فمنها ما لم يمثل ما يكون هنالك للنفوس الزكية من اللذة وللشقيية من الازى بامور شاهدة وصرحوا بان ذلك كله احوال روحانية ولذات ملكية ومنها ما اعتد فى تمثيلها بالامور المشاهدة اعنى

الله تعالى على وجود هذا المعنى في جميع الموجودات في الكتاب العزيز فقال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وقال مثنيًا على العلماء المعترفين بالغاية المطلوبة من هذا الوجود الذين يذكرون الله قيامًا وتعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار ووجود الغاية في الانسان اظهر منها في جميع الموجودات وقد نبه الله سبحانه عليها في غير ما آية من كتابه المحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم اليينا لا ترجعون وقال يحسب الانسان ان يترك سدى وقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يعنى الجنس من الموجودات الذى يعرفه وقال منبهًا على ظهور وجوب العبادة من قبل المعرفة بالخالق وما لى لا اعبد الذى فطرني واليه ترجعون واذا ظهر ان الانسان خلق من اجل افعال مقصودة به فظهر ايضا ان هذه الافعال يجب ان تكون خاصة لانا نرى ان واحداً واحداً من الموجودات انما خلق من اجل الفعل الذى يوجد فيه لا في غيره اعنى الخاص به واذا كان ذلك كذلك فيجب ان تكون غاية الانسان في افعاله التى تخصه دون سائر الحيوان وهذه افعال النفس الناطقة ولما كانت النفس الناطقة جزءين جزء عملى وجزء علمى وجب ان يكون المطلوب الاول منه هو ان يوجد على كماله في هاتين القوتين اعنى الفضائل العملية والفضائل النظرية وان تكون الافعال التى تكسب النفس هاتين الفضيلتين هى الخيرات والحسنات والتى تعوقها هى الشرور والسيئات ولما كان تقرير هذه الافعال اكثر ذلك بالوحي وردت الشرائع بتقريرها ووردت مع ذلك بتعريفها والحث عليها

فلو قيل لهم فيما هو مستحيل في نفسه ما هو عندهم ممكن اعني في ظنونهم ان الله لا يوصف بالقدرة عليه فتخيّلوا من ذلك نقصاً في الباري سبحانه وعجزاً وذلك ان الذي لا يقدر على الممكن فهو عاجز ولما كان وجود جميع الموجودات بريئة من الشرّ ممكناً في ظنّ الجمهور قال ولو شئنا لآتيناه كلّ نفس هداها ولكن حقّ القول متى لاملأن جهنّم من الجنة والناس اجمعين فالجمهور يفهمون من هذا معنى والخواصّ معنى وهو انه ليس يجب عليه سبحانه ان يخلق خلقاً يقترون بوجودهم شرّ فمعنى قوله ولو شئنا لآتيناه كلّ نفس هداها اي لو شئنا لخلقنا خلقاً ليس يقترون بوجودهم شرّ بل الخلق الذين هم خير محض فتكون كلّ نفس قد اوتيت هداها وهذا القدر في هذه المسألة كافٍ ولنسر الى المسألة الخامسة

المسألة الخامسة وهي القول في المعاد واحواله .٥٠ والمعاد ممّا اتفقت على وجوده الشرائع وقامت عليه البراهين عند العلماء وانما اختلفت الشرائع في صفة وجوده ولم تختلف في الحقيقة في صفة وجوده وانما اختلفت في الشهادات التي مثلت بها للجمهور تلك الحال الغائبة وذلك انّ من الشرائع من جعله روحانياً اعني للنفوس ومنها من جعله للاجسام والنفوس معاً والاتفاق في هذه المسألة مبنيّ على اتفاق الوحي في ذلك واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك اعني انه قد اتفق الكلّ على انّ للانسان سعادتين اخراوية ودنياوية وابني ذلك عند الجميع على اصول يعترف بها عند الكلّ منها انّ الانسان اشرف من كثير من الموجودات ومنها انه اذا كان كلّ موجود يظهر من امره انه لم يخلق عبثاً وانه انما خلق لفعل مطلوب منه وهو ثمرة وجوده فالانسان احرى بذلك وقد نبّه

عما يفعل. وم يسألون فان معناه لا يفعل فعلاً من اجل انه واجب عليه
 ان يفعله لان من هذا شانه فيه حاجة الى ذلك الفعل وما كان هكذا
 فهو في وجوده يحتاج الى ذلك الفعل اما حاجةً ضروريةً واما ان يكون به
 تأماً والبارئ سبحانه يتنزه عن هذا المعنى فالانسان يعدل ليستفيد بالعدل
 خيراً في نفسه لو لم يعدل لم يوجد له ذلك الخير وهو سبحانه يعدل لا
 لان ذاته تستكمل بذلك العدل بل لان الكمال الذي في ذاته اقتضى ان
 يعدل فاذا فهم هذا المعنى هكذا ظهر انه لا يتّصف بالعدل على الوجه
 الذي يتّصف به الانسان لكن ليس يوجب هذا ان يقال انه ليس يتّصف
 بالعدل اصلاً وان الافعال كلها تكون في حقه لا عدلاً ولا جوراً كما ظنّه
 المتكلمون فان هذا ابطال لما يعقله الانسان وابطال لظاهر الشريعة ولاكن
 القوم شعروا بمعنى ووقعوا دونه وذلك انه اذا فرضنا انه لا يتّصف بعدل
 اصلاً بطل ما يعقل من ان هاهنا اشياء هي في نفسها عدل وخير واشياء
 هي في نفسها جور وشر واذا فرضنا ايضاً انه يتّصف بالعدل على جهة ما
 يتّصف به الانسان لزم ان يكون في ذاته سبحانه نقص وذلك ان الذي
 يعدل فانما وجوده هو من اجل الذي يعدل فيه وهو بما هو عادل خادم
 لغيره وينبغي ان تعلم ان هذا القدر من التاويل ليس معرفة واجبة على
 جميع الناس واما الذين تجب عليهم هذه المعرفة هم الذين عرض لهم
 الشك في هذا المعنى وليس كلّ احد من الجمهور يشعر بالمعارضات التي في
 تلك العمومات فمن لم يشعر بذلك ففرضه اعتقاد تلك العمومات على
 ظاهرها وذلك ان لوورد تلك العمومات ايضاً سبباً آخر وهو انه ليس يتميز
 لهم المستحيل من الممكن والله تعالى لا يوصف بالاعتذار على المستحيل

تقتضى إيجاده لا اعدامه فقد تبين من هذا القول كيف ينسب اليه
الاضلال مع العدل ونفى الظلم وأنه أنما خلق اسباب الضلال لأنه يوجد
عنها غالباً الهداية اكثر من الاضلال وذلك أن من الموجودات ما اعطى
من اسباب الهداية اسباباً لا يعرض فيها اضلال أصلاً وهذى هي حال
الملائكة ومنها ما اعطى من اسباب الهداية اسباباً يعرض فيها الاضلال
في الاقل اذ لم يكن في وجودهم اكثر من ذلك لمكان التركيب وهذه هي
حال الانسان . فان قيل فما الحكمة في ورود هذه الآيات المتعارضة في
هذا المعنى حتى يضطر الامر فيها الى التاويل وانت تنفى التاويل في كل
مكان قلنا ان تفهيم الامر على ما هو عليه الجمهور في هذه المسئلة اضطرهم
الى هذا وذلك انهم احتاجوا ان يعرفوا بان الله تعالى هو الموصوف بالعدل
وأنه خالق كل شيء الخير والشر لمكان ما كان يعتقد كثير من الامم
الضلال ان هاهنا الالهين الاله خالقاً للخير والاله خالقاً للشر فعرفوا انه
خالق الامرين جميعاً ولما كان الاضلال شراً وكان لا خالق له سواه وجب
ان ينسب اليه كما ينسب اليه خلق الشر لكان ليس ينبغي ان يفهم
هذا على الاطلاق لكان على انه خالق للخير لذات الخير وخالق للشر
من اجل الخير اعنى من اجل ما يقترن به من الخير فيكون على هذا
خلقه للشر عدلاً منه ومثال ذلك ان النار خلقت لما فيها من قوام
الموجودات التى ما كان يصح وجودها لولا وجود النار لكان عرض عن
طبيعتها ان تفسد بعض الموجودات لكن اذا قويس بين ما يعرض عنها
من الفساد الذى هو الشر وبين ما يعرض عنها من الوجود الذى هو
الخير كان وجودها افضل من عدمها فكان خيراً . وأما قوله تعالى لا يسأل

الآيات مما قصد بها الاضلال مثل قوله تعالى يضلّ به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضلّ به إلا الفاسقين ومثل قوله تعالى وما جعلنا الربوا التي اربناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ومثل قوله في اثر تعديده ملائكة النار كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدى من يشاء اى أنه يعرض للطبائع الشريرة ان تكون هذه الآيات في حقهم مضلة كما يعرض للابدان الرديّة ان تكون الاغذية النافعة مضرة بها فان قيل فما الحاجة الى خلق صنف من المخلوقات يكونون بطباعهم مهيتّين للضلال وهذا هو غاية الجور قيل ان الحكمة الالهية اقتضت ذلك وانّ الجور كان يكون في غير ذلك وذلك ان الطبيعة التي منها خلق الانسان والتركيب الذي ركب عليه اقتضى ان يكون بعض الناس وهم الاقل شراراً بطباعهم وكذلك الاسباب المترتبة من خارج لهداية الناس لحقها ان تكون لبعض الناس مضلة وان كانت للاكثر مرشدة فلم يكن بدّ بحسب ما تقتضيه الحكمة من احد امرين اما ألا يخلق الانواع التي وجد فيها الشرور في الاقل والخير في الاكثر فيعدم الخير الاكثر بسبب الشر الاقل واما ان يخلق هذه الانواع فيوجد فيها الخير الاكثر مع الشر الاقل ومعلوم بنفسه ان وجود الخير الاكثر مع الشر الاقل افضل من اعدام الخير الاكثر لمكان وجود الشر الاقل وهذا السرّ من الحكمة هو الذي خفى على الملائكة حين قال الله سبحانه حكاية عنهم حين اخبرهم انه جاعل في الارض خليفة يعنى بنى آدم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك الى قوله اتنى اعلم بها لا تعلمون يريد انّ العلم الذي خفى عنهم هو انه اذا كان وجود شى من الموجودات خيراً وشرّاً وكان الخير اغلب عليه انّ الحكمة

قائماً بالقسط وقال تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقال ان الله لا يظلم
 الناس شيئا ولاكن الناس انفسهم يظلمون . فان قيل فما تقول في
 الاضلال للعبيد اهو جور ام عدل وقد صرح الله في غير ما آية من كتابه
 انه يضلل ويهدي مثل قوله تعالى يضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء
 ومثل قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قلنا هذه الآيات ليس يمكن
 ان تحمل على ظاهرها وذلك ان هاهنا آيات كثيرة تعارضها بظاهرها مثل
 الآيات التي نفى فيها سبحانه عن نفسه الظلم ومثل قوله تعالى ولا يرضى
 لعباده الكفر وهو بين انه اذا لم يرض لهم الكفر انه ليس يضللهم وما
 تقوله الاشعرية من انه يجوز على الله ان يفعل ما لا يرضاه او يأمر بما لا
 يريده فنعود بالله من هذا الاعتقاد في الله سبحانه وهو كفر وقد يدل ذلك
 على ان الناس لم يُضَلُّوا ولا خلقوا للضلال قوله تعالى فاقم وجهك للدين
 حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها وقوله اذ اخذ ربك من ظهورهم
 الآية وقول النبي صلعم كل مولود يولد على الفطرة واذا كان هذا التعارض
 موجوداً وجب الجمع بينهما على نحو ما يوجب العقل فنقول اما قوله تعالى
 يضلل من يشاء ويهدي من يشاء فهي المشيئة السابقة التي اقتضت ان
 يكون في اجناس الموجودات خلق ضالون اعني مهتئين للضلال بطباعهم
 ومسوقين اليه بما تكتنفهم من الاسباب المضلة من داخل ومن خارج واما
 قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها معناه لو شاء الا يخلق خلقاً مهتئين
 ان يعرض لهم الضلال اما من قبل طباعهم واما من قبل الاسباب التي
 من خارج او من قبل الامرين كليهما لفعل ولكون خلقه الطباع في ذلك
 مختلفة عرض ان تكون بعض الآيات مضلة لقوم وهداية لقوم لا ان هذه

وتحريك يده باختياره فانه لا معنى لاعترافهم بهذا الفرق اذا قالوا ان
الحركتين ليستا من قبلنا لانه اذا لم تكن من قبلنا فليس لنا قدرة على
الامتناع منها فنحن مضطرون فقد استوت حركة الرعدة والحركة التى
يسمونها كسبية فى المعنى ولم يكن هنالك فرق الا فى اللفظ فقط
والاختلاف فى اللفظ ليس يوجب حكماً فى الذوات وهذا كله يبين بنفسه
فلنسر الى ما بقى علينا من المسائل التى وعدناها

المسئلة الرابعة فى الجور والعدل وقد ذهبت الاشعرية فى العدل والجور
فى حق الله سبحانه الى رأى غريب جداً فى العقل والشرع اعنى انها صرحت
من ذلك بمعنى لم يصرح به الشرع بل صرح بضده وذلك انهم قالوا ان
الغائب فى هذا بخلاف الشاهد وذلك ان الشاهد زعموا انما اتصف بالعدل
والجور لكان الحجر الذى عليه فى افعاله من الشريعة فمتى فعل الانسان شياً
هو عدل بالشرع كان عدلاً ومن فعل ما وضع الشرع انه جور فهو جائر
قالوا واما من ليس مكلفاً ولا داخلاً تحت حجر الشرع فليس يوجد فى حقه
فعل هو جور او عدل بل كل افعاله عدل والتزموا انه ليس هاهنا شى هو
فى نفسه عدل ولا شى هو فى نفسه جور وهذا فى غاية الشناعة بانه ليس
يكون هاهنا شى هو فى نفسه خير ولا شى هو فى نفسه شر فان العدل
معروف بنفسه انه خير وان الجور شر فيكون الشرك بالله ليس فى نفسه
جوراً ولا ظلماً الا من جهة الشرع وانه لو ورد الشرع بوجوب اعتقاد الشريك
له لكان عدلاً وكذلك لو ورد بمعصيته لكان عدلاً وهذا خلاف المسموع
والمعقول اما المسموع فان الله قد وصف نفسه فى كتابه بالقسط ونفى عن
نفسه الظلم فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم

هذا المعنى انتقل معه الى دليل قطعه به فقال فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وبالجملّة فاذا فهم الامر هكذا فى الفاعل والخالق لم يعرض من ذلك تعارض لا فى السمع ولا فى العقل ولذلك ما نرى ان اسم الخالق اخصّ بالله تعالى من اسم الفاعل لان اسم الخالق لا يشركه فيه المخلوق لا باستعارة قريبة ولا بعيدة اذ كان معنى الخالق هو المخترع للجواهر ولذلك قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وينبغى ان تعلم ان من جحد كون الاسباب مؤثرة باذن الله فى مسبباتها اّنه قد ابطال الحكمة وابطل العلم وذلك ان العلم هو معرفة الاشياء باسبابها والحكمة هى المعرفة بالاسباب الغائبة والقول بانكار الاسباب جملة قول غريب جدّا عن طباع الناس والقول بنفى الاسباب فى الشاهد ليس له سبيل الى اثبات سبب فاعل فى الغائب لان الحكم على الغائب من ذلك انما يكون من قبل الحكم بالشاهد فهؤلاء لا سبيل لهم الى معرفة الله تعالى اذ يلزمهم الا يعترفوا بان كلّ فعل له فاعل واذا كان هذا هكذا فليس يمكن من اجماع المسلمين على اّنه لا فاعل الا الله سبحانه ان يفهم نفى وجود الفاعل بّنة فى الشاهد اذ من وجود الفاعل فى الشاهد استدللنا على وجود الفاعل فى الغائب لكن لما تقرّر عندنا الغائب تبيّن لنا من قبل المعرفة بذاته ان كلّ ما سواه فليس فاعلاً الا باذنه وعن مشيئته فقد تبيّن من هذا على اتى وجه يوجد لنا اكتساب وان من قال باحد الطرفين من هذه المسئلة فهو مخطئ كالمعتزلة والجبريّة واما المتوسط الذى تروم الاشعريّة ان تكون هى صاحبة الحق بوجوده فليس له وجود اصلاً اذ لا يجعلون للانسان من اسم الاكتساب الا الفرق الذى يدركه الانسان بين حركة يده عن الرعشة

اصلاً ولا طرفة عين فسبحان اللطيف الخبير وقد نبّه الله تعالى على ذلك في غير ما آية من كتابه فقال تعالى وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر وقوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة الآية وقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقوله تعالى وسخّر لكم ما في السموات والارض جميعا منه وقوله وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار الى غير ذلك من الآيات التي في هذا المعنى ولو لم يكن لهذه تأثير فيها هاهنا لما كان وجودها حكمة امتنّ بها علينا ولا جعلت من النعم التي يخصّنا شكرها وأما الجواب الثاني فانا نقول ان الموجودات الحادثة منها ما هي جواهر واعيان ومنها ما هي حركات وسخونة وبرودة وبالجملة اعراض فاما الجواهر والاعيان فليس يكون اختراعها الا عن الخالق سبحانه وما يقتزن بها من الاسباب فانما يؤثّر في اعراض تلك الاعيان لا في جواهرها مثال ذلك انّ المنى انما يفيد من المرأة او دم الطمث حرارة فقط واما خلقه الحنين ونفسه التي هي الحياة فانما المعطى لها الله تبارك وتعالى وكذلك الفلاح انما يفعل في الارض تخميراً او اصلاحاً ويبذر فيها الحب واما المعطى لخلق السنبلة فهو الله تبارك وتعالى فاذاً على هذا لا خالق الا الله تعالى ان كانت المخلوقات في الحقيقة هي الجواهر والى هذا المعنى اشار بقوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وهذا هو الذي رام ان يغالط فيه الكافر ابراهيم عليه السكام حين قال انا احيى واميت فلما رأى ابراهيم عمّ أنّه لا يفهم

بها على ما سنبينه بعد من أن الله تعالى هو المخترع لجواهر جميع الأشياء التي تقترب بها اسبابها التي جرت العادة أن يقال أنها أسباب لها فهذا الوجه المفهوم من أنه لا فاعل إلا الله هو مفهوم يشهد له الحس والعقل والشرع أما الحس والعقل فإنه يرى أن هاهنا أشياء تتولد عنها أشياء وأن النظام الجاري في الموجودات إنما هو من قبل امرين أحدهما ما ركب الله فيها من الطبائع والنفوس الثاني من قبل ما احاط بها من الموجودات من خارج وأشهر هذه هي حركات الاجرام السماوية فإنه يظهر أن الليل والنهار والشمس والقمر وسائر النجوم مختبرات لنا وأنه لمكان النظام والترتيب الذي جعله الخالق في حركاتها كان وجودنا ووجود ما هاهنا محفوظا بها حتى أنه لو توقم ارتفاع واحد منها أو توقم في غير موضعه أو على غير قدره أو في غير السرعة التي جعل الله فيه لبطلت الموجودات التي على وجه الأرض وذلك بحسب ما جعل الله في طباعها من ذلك وجعل في طباع ما هاهنا أن تتأثر عن تلك وذلك ظاهر جدا في الشمس والقمر أعني تأثيرها فيما هاهنا وذلك بين في المياه والرياح والأمطار والبحار وبالجملة في الاجسام المبحسوسة وأكثر ما يظهر ضرورة وجودها في حياة النبات وفي كثير من الحيوان بل في جميع الحيوان بأسره وأيضا فإنه يظهر أنه لولا القوى التي جعلها الله في اجسامنا من التغذي والاحساس لبطلت اجسامنا كما نجد جالينوس وسائر الحكماء يعترفون بذلك ويقولون لولا القوى التي جعلها الله في اجسام الحيوان مدبرة لها لما امكن في اجسام الحيوان أن تبقى ساعة واحدة بعد إيجادها ونحن نقول أنه لولا القوى التي في اجسام الحيوان والنبات والقوى السارية في هذا العالم من حركات الاجرام السماوية لما امكن أن تبقى

الحجج المتعارضة العقلية اعني ان كون الاشياء الموجودة عن ارادتنا يتم وجودها بالامرين جميعا اعني بارادتنا وبالاسباب التي من خارج فاذا نسبت الافعال الى واحد من هذين على الاطلاق لحقت الشكوك المتقدمة فان قيل هذا جواب حسن يوافق الشرع فيه العقل لكن هذا القول هو مبني على ان هاهنا اسبابا فاعلة لمسببات مفعولة والمسلمون قد اتفقوا على ان لا فاعل الا الله قلنا ما اتفقوا عليه صحيح ولاكن على هذا جوابان احدهما ان الذي يمكن ان يفهم من هذا القول هو احد امرين اما انه لا فاعل الا الله تبارك وتعالى وان ما سواه من الاسباب التي يسخرها ليست تستي فاعلة الا مجازا ان كان وجودها انما هو به وهو الذي صيرها موجودة اسبابا بل هو الذي يحفظ وجودها في كونها فاعلة ويحفظ مفعولاتها بعد فعلها ويخترع جواهرها عند اقتران الاسباب بها وكذلك يحفظها هو في نفسها ولولا الحفظ الالهي لها لما وجدت زمانا مشارا اليه اعني لما وجدت في اقل زمان يمكن ان يدرك انه زمان وابو حامد يقول ان مثال من يشرك سببا من الاسباب مع الله تعالى في اسم الفاعل والفعل مثال من يشرك في فعل الكتابة القلم مع الكاتب اعني ان يقول ان القلم كاتب وان الانسان كاتب اي كما ان اسم الكتابة مقول باشتراك الاسم عليهما اعني انهما معنيان لا يشتركان الا في اللفظ فقط وهما في انفسهما في غاية التباين كذلك الامر في اسم الفاعل اذا اطلق على الله تعالى وتبارك واذا اطلق على سائر الاسباب ونحن نقول ان في هذا التمثيل تسامحا وانما كان يكون التمثيل بيّنا لو كان الكاتب هو المخترع لجوهر القلم والمحافظة له ما دام قلما ثم المحافظ للكتابة بعد الكتب والمخترع لها عند اقتران القلم

لان افعالنا تكون مسببة عن تلك الاسباب التى من خارج وكذا مسبب
يكون عن اسباب محدودة مقدرة فهو ضرورة محدود مقدر وليس يلفى هذا
الارتباط بين افعالنا والاسباب التى من خارج فقط بل وبينها وبين
الاسباب التى خلقها الله تعالى فى داخل ابداننا والنظام المحدود الذى فى
الاسباب الداخلة والخارجة اعنى التى لا تخلّ هو القضا والقدر الذى كتبه
الله تعالى على عباده وهو اللوح المحفوظ وعلم الله تعالى بهذه الاسباب
وبما يلزم عنها هو العلة فى وجود هذه الاسباب ولذلك كانت هذه الاسباب
لا يحيط بمعرفتها الا الله وحده ولذلك كان هو العالم بالغيب وحده وعلى
الحقيقة كما قال تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله
وانما كانت معرفة الاسباب هو العلم بالغيب لان الغيب هو معرفة وجود
الموجود فى المستقبل او لا وجوده ولما كان ترتيب الاسباب ونظامها هو
الذى يقتضى وجود الشئ فى وقت ما او عدمه فى ذلك الوقت وجب ان
يكون العلم باسباب شئ ما هو العلم بوجود ذلك الشئ وعدمه فى وقت ما
والعلم بالاسباب على الاطلاق هو العلم بما يوجد منها او ما يعدم فى
وقت من اوقات جميع الزمان فسبحان من احاط اختراعاً وعلماً بجميع
اسباب جميع الموجودات وهذه هى مفاتيح الغيب المعنوية فى قوله تعالى
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو الآية واذا كان هذا كله كما وصفنا
فقد تبين لك كيف لنا اكتساب وكيف جميع مكتسباتنا بقضاء وبقدر
سابق وهذا الجمع هو الذى قصده الشرع بتلك الآيات العامة والاحاديث
التى يظن بها التعارض وهى اذا خصصت عموماتها بهذا المعنى انتفى
عنها التعارض وبهذا ايضا تنحلّ جميع الشكوك التى قيلت فى ذلك اعنى

في المسبوع نفسه وفي المعقول نفسه قلنا الظاهر من مقصد الشرع ليس هو تفريق هذين الاعتقادين وإنما قصده الجمع بينهما على التوسط الذي هو الحق في هذه المسئلة وذلك أنه يظهر أن الله تبارك وتعالى قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي اضرار لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء ليس يتم لنا إلا بموتاة الأسباب التي سخرها الله لنا من خارج وزوال العوائق عنها كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعا وإذا كان ذلك كذلك فالأفعال المنسوبة إلينا أيضا يتم فعلها بإرادتنا وموافقة الأفعال التي من خارج لها وهي المعبر عنها بقدر الله وهذه الأسباب التي سخرها الله من خارج ليست هي متممة للأفعال التي نروم فعلها أو عاتقة عنها فقط بل وهي السبب في أن نريد أحد المتقابلين فإن الإرادة أننا هي شوق يحدث لنا عن تخيل ما أو تصديق بشي وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا بل هو شي يعرض لنا عن الأمور التي من خارج مثال ذلك أنه إذا ورد علينا امر مشتهى من خارج اشتهيانه بالضرورة من غير اختيار فتحررنا إليه وكذلك إذا طرأ علينا امر مهروب عنه من خارج كرهناه باضطرار فهربنا منه وإذا كان هكذا فأرادتنا محفوظة بالأمور التي من خارج ومربوطة بها وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ولما كانت الأسباب التي من خارج تجري على نظام محدود وترتيب منضود لا تتحلل في ذلك بحسب ما قدرها بارتها عليه وكانت إرادتنا وأفعالنا لا تتم ولا توجد بالجملة إلا بموافقة الأسباب التي من خارج فواجب أن تكون أفعالنا تجري على نظام محدود اعني أنها توجد في أوقات محدودة ومقدار محدود وإنما كان ذلك واجبا

اسباب الاختلاف في هذه المسئلة وللاختلاف كما قلنا سبب آخر سوى السمع وهو تعارض الادلة العقلية في هذه المسئلة وذلك انه اذا فرضنا ان الانسان موجد لافعاله وخالق لها وجب ان يكون هاهنا افعال ليس تجرى على مشيئة الله تعالى ولا اختياره فيكون هاهنا خالق غير الله قالوا وقد اجمع المسلمون على انه لا خالق الا الله سبحانه وان فرضناه ايضا غير مكتسب لافعاله وجب ان يكون مجبوراً عليها فانه لا وسط بين الجبر والاكتساب واذا كان الانسان مجبوراً على افعاله فالتكليف هو من باب ما لا يطاق واذا كلف الانسان ما لا يطيق لم يكن فرق بين تكليفه وتكليف الجماد لان الجماد ليس له استطاعة وكذلك الانسان ليس له فيما لا يطيق استطاعة ولهذا صار الجمهور الى ان الاستطاعة شرط من شروط التكليف كالعقل سواء ولهذا نجد ابا المعالي قد قال في النظامية ان للانسان اكتساباً لافعاله واستطاعة على الفعل وبناءه على امتناع تكليف ما لا يطاق لكن من غير الجهة التي منعت المعتزلة واما قدماء الاشعرية فجوزوا تكليف ما لا يطاق هرباً من الاصل الذي من قبله نفته المعتزلة وهو كونه قبيحاً في العقل وخالفهم المتأخرون منهم وايضا فانه اذا لم يكن للانسان اكتساب كان الامر بالاهبة لما يتوقع من الشرور لا معنى له وكذلك الامر باجتلاب الخيرات فتبطل ايضا الصنائع كلها التي المقصود منها ان تجتلب الخيرات كصناعة الفلاحة وغير ذلك من الصنائع التي يطلب بها المنافع وكذلك تبطل جميع الصنائع التي يقصد بها الحفظ ودفع المضار كصناعة الحرب والملاحة والطب وغير ذلك وهذا كله خارج عما يعقله الانسان .٠٠ فان قيل فاذا كان الامر هكذا فكيف يجمع بين هذا التعارض الذي يوجد

انّ للانسان اكتساباً على انّ الامور في انفسها ممكنة لا واجبة فمثل قوله تعالى او يوبقهنّ بما كسبوا ويعف عن كثير وقوله تعالى ذلك بما كسبت ايديكم وقوله تعالى والذين كسبوا السيّات وقوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله واما ثمود نهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وربما ظهر في الآية الواحدة التعارض في هذا المعنى مثل قوله تعالى اولمّا اصابكم مصيبة قد اصبتم مثلها قلتم انّى هذا قل هو من عند انفسكم ثم قال في هذه النازلة بعينها وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله ومثل ذلك قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وقوله قل كلّ من عند الله وكذلك تلتفى الاحاديث في هذا ايضا متعارضة مثل قوله عليه السلام كلّ مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه ومثل قوله عليه السلام خلقت هؤلاء للجنة وباعمال اهل الجنة يعملون وخلقت هؤلاء للنار وباعمال اهل النار يعملون فانّ الحديث الاول يدلّ على انّ سبب الكفر انما هو المنشأ عليه وانّ الايمان سببه جبلة الانسان والثاني يدلّ على انّ المعصية والكفر هما مخلوقان لله وانّ العبد مجبور عليهما ولذلك افترق المسلمون في هذا المعنى الى فرقتين فرقة اعتقدت انّ اكتساب الانسان هو سبب المعصية والحسنة وان لمكان هذا ترتب عليه العقاب والثواب وهم المعتزلة وفرقة اعتقدت نقيض هذا وهو انّ الانسان مجبور على افعاله ومقهور وهم الجبرية واما الاشعرية فانهم راموا ان ياتوا بقول وسط بين القولين فقالوا انّ للانسان كسبا وان المكتسب به والمكسب مخلوقان لله تعالى وهذا لا معنى له فانه اذا كان الاكتساب والمكتسب مخلوقاً لله سبحانه فالعبد ولا بدّ مجبور على اكتسابه فهذا هو احد

النبيّ ان يكون نبياً التي هي الرّوحى ومن هذه الصفة هو ما يقع في النفس ان من اقدره الله على هذا الفعل الغريب وخصّه به من سائر اهل وقته فليس يبعد عليه ما يدّعيه من انه قد آتاه الله بوحية وبالجملة متى وُضع ان الرّسل موجودون وانّ الافعال الخارقة لا توجد الاّ منهم كان المعجز دليلاً على تصديق النبيّ اعنى المعجز البرّانيّ الذي لا يناسب الصفة التي بها سمى النبيّ نبياً ويشبه ان يكون التصديق الواقع من قبل المعجز البرّانيّ هو طريق الجمهور فقط والتصديق من قبل المعجز المناسب طريق مشترك للجمهور والعلماء فانّ تلك الشكوك والاعتراضات التي وجّهناها على المعجز البرّانيّ ليس يشعر بها الجمهور لاكنّ الشرع اذا توّمل وجد انه انما اعتمد المعجز الاهلّيّ والمناسب لا المعجز البرّانيّ وهذا الذي قلناه في هذه المسئلة كافٍ بحسب غرضنا وكاف بحسب الحقّ في نفسه

المسألة الثالثة في القضاء والقدر وهذه المسئلة من اعوص المسائل الشرعيّة وذلك انه اذا توّمل دلائل السمع في ذلك وجدت متعارضة وكذلك حجج العقول اماّ تعارض ادلّة السمع في ذلك فموجود في الكتاب والسنة اماّ في الكتاب فانه تلعفّى فيه آيات كثيرة تدلّ بعمومها على انّ كلّ شى بقدر وانّ الانسان مجبور على افعاله وتلعفّى فيه آيات كثيرة تدلّ على انّ للانسان اكتساباً بفعله وانه ليس مجبوراً على افعاله اماّ الآيات التي تدلّ على انّ الامور كلّها ضروريّة وانه قد سبق القدر فمنه قوله تعالى انا كلّ شى خلقناه بقدر وقوله وكلّ شى عنده بمقدار وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاّ في كتاب من قبل ان نبرأها انّ ذلك على الله يسير الى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى واماّ الآيات التي تدلّ على

يوقف على هذا المعنى بطريق آخر وهو مقايضة هذه الشريعة بسائر الشرائع وذلك أنه ان كان فعل الانبياء الذين هم به انبياء انما هو وضع الشرائع بوحى من الله تعالى على ما تقرّر الامر في ذلك من الجميع اعنى القائلين بالشرائع بوجود الانبياء صلوات الله عليهم فانه اذا توّمل ما تضمنته الكتاب العزيز من الشرائع المفيدة للعلم والعمل المفيد للسعادة مع ما تضمنته سائر الكتب والشرائع وجدت تفضل في هذا المعنى سائر الشرائع بمقدار غير متناهٍ وبالجملّة فان كانت هاهنا كتب واردة في شرائع استأهلت ان يقال انها كلام الله لغرابتها وخروجها عن جنس كلام البشر ومفارقة بها تضمنت من العلم والعمل فظاهر ان الكتاب العزيز الذى هو القرآن هو اولى بذلك وارى اضعافاً مضاعفة وانت فيلوح لك هذا جداً ان كنت وقفت على الكتب اعنى التوراة والانجيل فانه ليس يمكن ان تكون كلها قد تغيرت ولو ذهبنا لنبين فضل شريعة على شريعة وفضل الشريعة المشروعة لنا معشر المسلمين على سائر الشرائع المشروعة لليهود والنصارى وفضل التعليم الموضوع لنا في معرفة الله ومعرفة المعاد ومعرفة ما بينهما لاستدعى ذلك مجلدات كثيرة مع اعترافنا بالقصور عن استيفاء ذلك ولهذا قيل في هذه الشريعة انها خاتمة الشرائع وقال عليه السلام لو ادركنى موسى ما وسعه الا اتباعى وصدق صلعم ولعموم التعليم الذى في الكتاب العزيز وعموم الشرائع التى فيها اعنى كونها مسعدة للجميع كانت هذه الشريعة عامّة لجميع الناس ولذلك قال تعالى قل يا ايّها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً وقال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود فانه يشبه ان يكون الامر في الشرائع كالامر في الاغذية وذلك انه كما ان من الاغذية اغذية تلائم

النبوة وأما المعجز في غير ذلك من الافعال فشاهد لها ومقوّ فقد تبين لك ان هذا الصنف من الناس موجودون ومن اين وقع العلم للناس بوجودهم حتى نقل وجودهم الينا نقل تواتر كما نقل الينا وجود الحكماء والحكمة وغير ذلك من اصناف الناس فان قيل فمن اين يدلّ القرآن على أنّه خارق ومعجز من نوع الخارق الذي يدلّ دلالة قطعية على صفة النبوة اعنى الخارق الذى في فعل النبوة الذى يدلّ عليها كما يدلّ الابرء على صفة الطب الذى هو فعل الطب قلنا يوقف على ذلك من وجوه احدها ان يعلم ان الشرائع التى تضمنها من العلم والعمل ليست ممّا يمكن ان يكتسب بتعلّم بل بوحى والثانى ما تضمن من الاعلام بالغيوب والثالث من نظمه الذى هو خارج عن النظم الذى يكون بفكر وروية اعنى انه يعلم انه من غير جنس البلغاء المتكلمين بلسان العرب سواء من تكلم منهم بذلك بتعلّم وصناعة وهم الذين ليسوا باعراب او من تكلم بذلك من قبل المنشأ عليه وهم العرب الاول والمعتد في ذلك على الوجه الاول فان قيل فمن اين يعرف ان الشرائع التى فيها العلية والعلية هي بوحى من الله تعالى حتى استحقّ بذلك ان يقال فيه انه كلام الله قلنا يوقف على هذا من طرق احداها ان معرفة وضع الشرائع ليس تنال الا بعد المعرفة بالله وبالسعادة الانسانية والشقاء الانسانى وبالامور الاراديات التى يتوصّل بها الى السعادة وهى الخيرات والحسنات وما الامور التى تعوق عن السعادة وتورث الشقاء الاخرات وهى الشرور والسيّات ومعرفة السعادة الانسانية والشقاء الانسانى تستدعى معرفة ما هي النفس وما جوهرها وهل لها سعادة اخراوية وشقاء اخراوى ام لا وان كان فما مقدار هذه السعادة وهذا الشقاء وايضا فباي

بالصرف ولم يشترطوا في كون الخارق ان يكون مخالفاً بالجنس للانفعال المعتادة ورأوا انه يكفي في ذلك ان يكون من الافعال المعتادة في غاية يقصر عنها جميع الناس قلنا هذا كله كما ذكر المعترض وليس الامر في هذا على ما توقم هؤلاء فكون القرآن دلالة على صدق نبوته عليه السلام ينبني عندنا على اصلين قد نبه عليهما الكتاب احدهما ان الصنف الذين يستون رسلاً وانبياء معلوم وجودهم بنفسه وان هذا الصنف من الناس هم الذين يضعون الشرائع للناس بوحى من الله لا بتعلم انساني وذلك انه ليس ينكر وجودهم الا من انكر وجود الامور المتواترة كوجود سائر الانواع التي لم نشاهدها والاشخاص المشهورين بالحكمة وغيرها وذلك انه قد اتفقت الفلاسفة وجميع الناس الا من لا يعبأ بقوله وهم الدهرية على ان هاهنا اشخاصاً من الناس يوحى اليهم بان ينهوا الى الناس اموراً من العلم والافعال الجميلة بها تتم سعادتهم وينهونهم عن اعتقادات فاسدة وافعال قبيحة وهذا هو فعل الانبياء والاصل الثاني ان كل من وجد عنه هذا الفعل الذي هو وضع الشرائع بوحى من الله تعالى فهو نبي وهذا الاصل ايضا غير مشكوك فيه في الفطر الانسانية فانه كما ان من المعلوم بنفسه ان فعل الطب هو الابراء وان من وجد منه الابراء فهو طبيب كذلك ايضا من المعلوم بنفسه ان فعل الانبياء عليهم السلام هو وضع الشرائع بوحى من الله وان من وجد منه هذا الفعل فهو نبي فاما الاصل الاول فقد نبه عليه الكتاب العزيز في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله وكلم الله موسى تكليماً وقوله تعالى قل ما كنت بدعاً من الرسل واما الاصل الثاني وهو ان محمداً

على ان هذا رسول اذا سَلِمَ انّ الرسالة امر موجود وانه ليس يظهر هذا الخارق على يدى احد من الفاضلين الا على يدى رسول وانما كان المعجز ليس يدلّ على الرسالة لانه ليس يدرك العقل ارتباطاً بينهما الا ان يعترف انّ المعجز فعل من افعال الرسالة كالابراء الذى هو فعل من افعال الطبّ فانه من ظهر منه فعل الابراء دلّ على وجود الطبّ وانّ ذلك طبيب فهذا احد ما فى هذا الاستدلال من الوهن وايضا فاذا اعترفنا بوجود الرسالة على ان نزل الامكان الذى هو الجهل منزلة الوجود وجعلنا المعجزة دالة على صدق الشخص المدعى الرسالة وجب ضرورة ان لا تكون دلالتها لازمة لمن يجوز ان المعجز قد يظهر على يدى غير رسول على ما يفعله المتكلمون لانهم يجوزون ظهورها على يدى الساحر وعلى يدى الوليّ وانما ما يشترطونه لمكان هذا من ان المعجز انما يدلّ على الرسالة بمقارنة دعوى الرسالة له وانه لو ادعى الرسالة من شانه ان يظهر على يديه مَن ليس برسول لم يظهر فدعوى ليس عليها دليل فانّ هذا غير معلوم لا بالسمع ولا بالعقل اعنى انه اذا ادعى من يظهر على يديه دعوى كاذبة انه لا يظهر على يديه المعجز لآكن كما قلنا لما كان لا يظهر من الممنوع انها لا تظهر الا على يدى الفاضلين الذين يعنى الله بهم وهؤلاء اذا كذبوا ليسوا فاضلين فليس يظهر على ايديهم المعجز لآكن ما فى هذا المعنى من الاتناع لا يوجد فيمن يجوز ظهورها على يدى الساحر فانّ الساحر ليس بفاضل . . . فهذا ما فى هذه الطريقة من الضعف ولهذا رأى بعض الناس ان الاحفظ لهذا الوضع ان يعتقد انه ليس تظهر الخوارق الا على يدى الانبياء وانّ السحر هو تخيل ولا قلب عين ومن هؤلاء من انكر

اين لنا بعتة قولنا ان كل من ظهرت على يديه المعجزة فهو رسول
 والرسالة لم يثبت وجودها بعد هذا ان سلمنا وجود المعجزة ايضا على
 الصفة التي يلزم بها ان يكون معجزاً ولا بد ان يكون جزءاً هذا القول
 اعني المبتدأ والخبر معترفاً بوجودهما قبل الاعتراف بصدق الحكم على
 احدهما بالثاني وليس لقائل ان يقول ان وجود الرسل يدل عليه العقل
 لكون ذلك جائزاً في العقل فان الجواز الذي يشيرون اليه هو جهل وليس
 هو جواز الذي في طبيعة الموجودات مثل قولنا المطر جائز ان ينزل وان
 لا ينزل وذلك ان الجواز الذي هو من طبيعة الموجود هو ان يحس ان الشئ
 يوجد مرة ويفقد اخرى كالحال في نزول المطر فيقضي العقل حينئذ قضاء
 كلياً على هذه الطبيعة بالجواز والواجب ضد هذا وهو الذي يحس وجوده
 دائماً فيقضي العقل قضاء كلياً وباتاً على ان هذه الطبيعة لا يمكن ان
 تتغير ولا ان تنقلب فلو كان الخصم قد اعترف بوجود رسول واحد في وقت
 من الاوقات لظهر ان الرسالة من الامور الجائزة الوجود واما الخصم يدعى
 ان ذلك لم يحس بعد فالجواز الذي يدعيه انما جهل باحد المتقابلين
 اعني الامكان والامتناع والناس الذين صح منهم امكان وجود الرسل انما
 صح لنا وجود هذا الامكان لاننا قد ادركنا وجود الرسل منهم الا ان نقول
 ان احساس وجود الرسل من الناس يدل على امكان وجودهم من الخالق
 كما ان وجود الرسول من عمرو يدل على امكان وجوده من زيد فهذا
 يقتضي تساوي الطبيعتين ففيه هذا العسر وان فرضنا هذا الامكان في
 نفسه ولو كان في المستقبل لكان امكاناً بحسب الامر لا بحسب علمنا واما
 وأحد المتقابلين من هذا الامكان قد خرج الى الوجود فانما هذا الامكان

منهم وسبب ذلك العصبية والمحبة وقد يكون الاعتقاد لامثال هذه
 الاقاريل سبباً للانحلاع عن المعقولات كما نرى يعرض للذين مهرؤا بطريق
 الاشعرية وارتاضوا بها منذ الصبا فهؤلاء لا شك محجوبون بحجاب العادة
 والمنشأ فهذا الذى ذكرنا من امر هذه المسئلة كافٍ بحسب غرضنا فلنسر
 الى المسئلة الثانية

المسئلة الثانية فى بعث الرسل والنظر فى هذه المسئلة فى موضعين
 احدهما فى اثبات الرسل والموضع الثانى فيما يبين به ان هذا الشخص
 الذى يدعى الرسالة واحد منهم وانه ليس بكاذب فى دعواه فاما وجود مثل
 هذا الصنف من الناس فقد رام قوم اثبات ذلك بالقياس وهم المتكلمون
 وقالوا قد ثبت ان الله متكلم ومريد ومالك لعباده وجائز على المتكلم
 المريد المالك لامر عباده فى الشاهد ان يبعث رسولا الى عباده المملوكين
 فوجب ان يكون ذلك ممكنا فى الغائب وشدوا هذا الموضع بابطال
 المحالات التى تروم البراهمة ان تلزمها عن وجود رسل من الله قالوا واذا
 كان هذا المعنى قد ظهر امكان وجوده فى الغائب كوجوده فى الشاهد
 وكان ايضا يظهر فى الشاهد انه اذا قام رجل فى حضرة الملك فقال ايها
 الناس اتى رسول الملك اليكم وظهرت عليه من علامات الملك انه يجب
 ان يعترف بان دعوى ذلك الرسول صحيحة قالوا وهذه العلامة ظهور المجزة
 على يدى الرسول وهذه الطريقة هى مقنعة وهى لايقة بالجمهور بوجه ما
 لكن اذا تتبعنا ظهر فيها بعض اختلال من قبل بعض ما يضعرون فى
 هذه الاصول وذلك انه ليس يصح تصديقنا للذى ادعى الرسالة عن الملك
 الا متى علمنا ان تلك العلامة التى ظهرت عليه هى علامة الرسل للملك

فقال سبحانه مخبراً عن حاله قبل كون العالم وكان عرشه على الماء وقال تعالى إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَقَالَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ إِلَى سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَيَجِبُ إِلَّا يَتَأَوَّلَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لِلْجُمْهُورِ وَلَا يُعْرَضُ لِتَنْزِيلِهِ عَلَى غَيْرِ هَذَا التَّمَثِيلِ فَإِنَّهُ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ أَبْطَلَ الْحِكْمَةَ الشَّرْعِيَّةَ فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُمْ إِنْ عَقِيدَةُ الشَّرْعِ فِي الْعَالَمِ هِيَ أَنَّهُ مُحَدَّثٌ وَأَنَّهُ خَلَقَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ وَفِي غَيْرِ زَمَانٍ فَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يُمْكِنُ إِنْ يُتَصَوَّرُهُ الْعُلَمَاءُ فَضْلاً عَنِ الْجُمْهُورِ فَيَنْبَغِي كَمَا قُلْنَا إِلَّا يَعْدُلُ فِي الشَّرْعِ عَنِ التَّصَوُّرِ الَّذِي وَضَعَهُ الْجُمْهُورُ وَلَا يَصْرَحُ لَهُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّمَثِيلِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ هُوَ الْمَوْجُودُ فِي الْقُرْآنِ وَفِي التَّوْرَةِ وَفِي سَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَمِنْ الْعَجَبِ الَّذِي فِي هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ التَّمَثِيلَ الَّذِي جَاءَ فِي الشَّرْعِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ يُطَابِقُ مَعْنَى الْحَدُوثِ الَّذِي فِي الشَّاهِدِ وَلَكِنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَصْرَحْ فِيهِ بِهَذَا اللَّفْظِ وَذَلِكَ تَنْبِيهُ مِنْهُ لِلْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ حَدُوثَ الْعَالَمِ لَيْسَ هُوَ مِثْلُ الْحَدُوثِ الَّذِي فِي الشَّاهِدِ وَأَمَّا أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْخَلْقِ وَلَفْظَ الْفُطُورِ وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ تَصْلُحُ لِتَصَوُّرِ الْمَعْنِيِّينَ أَعْنَى لِتَصَوُّرِ الْحَدُوثِ الَّذِي فِي الشَّاهِدِ وَتَصَوُّرِ الْحَدُوثِ الَّذِي آدَى إِلَيْهِ الْبَرْهَانُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي الْغَائِبِ فَإِذَا اسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْحَدُوثِ أَوْ الْقَدَمِ بَدْعَةٍ فِي الشَّرْعِ وَمَوْقِعٍ فِي شَبْهَةِ عَظِيمَةٍ تَفْسُدُ عَقَائِدَ الْجُمْهُورِ وَبِخَاصَّةِ الْجَدَلِيِّينَ مِنْهُمْ وَلِذَلِكَ عَرَضَتْ أَشَدُّ حَيْرَةٍ تَكُونُ وَأَعْظَمُ شَبْهَةٍ لِلْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا أَعْنَى الْأَشْعَرِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا صَرَّحُوا أَنَّ اللَّهَ مُرِيدُ بَارَادَةٍ قَدِيمَةٍ وَهَذَا بَدْعَةٌ كَمَا قُلْنَا وَوَضَعُوا أَنَّ الْعَالَمَ مُحَدَّثٌ قِيلَ لَهُمْ كَيْفَ يَكُونُ مُرَادُ حَادِثٍ عَنْ ارَادَةِ قَدِيمَةٍ فَقَالُوا أَنَّ ارَادَةَ الْقَدِيمَةِ تَعَلَّقَتْ بِإِيجَادِهِ فَيُ

جهة او على موضع دون موضع او على وضع دون وضع فاذًا هذا القول يلزم عنه ضرورة اما ابطال وجود الفاعل على الاطلاق واما ابطال وجود فاعل حكيم عالم تعالى الله وتقدست اسماؤه عن ذلك .و اما الذى قاد المتكلمين من الاشعية الى هذا القول الهروب من القول بفعل القوى الطبيعية التى ركبها الله فى الموجودات التى هاهنا كما ركب فيها النفوس وغير ذلك من الاسباب المؤثرة فهربوا من القول بالاسباب لئلا يدخل عليهم القول بان هاهنا اسبابا فاعلة غير الله وهيئات لا فاعل هاهنا الا الله اذ كان مخترع الاسباب وكونها اسبابا مؤثرة هو باذنه وحفظه لوجودها وسببها هذا المعنى بيانًا اكثر فى مسئلة القضا والقدر وايضا فانهم خافوا ان يدخل عليهم من القول بالاسباب الطبيعية ان يكون العالم صادرًا عن سبب طبيعى ولو علموا ان الطبيعة مصنوعة وانه لا شئ ادق على الصانع من وجود موجود بهذه الصفة فى الاحكام لعلموا ان القائل بنفى الطبيعة قد اسقط جزء عظيمًا من موجودات الاستدلال على وجود الصانع العالم بجوده جزء من موجودات الله وذلك ان من جحد جنسًا من المخلوقات الموجودات فقد جحد فعلًا من افعال الخالق سبحانه ويقرب هذا ممن جحد صفة من صفاته وبالجملة فلما كان نظر هؤلاء القوم مأخوذًا من بادية الرأى وهو الظنون التى تخطر للانسان من اول نظرة وكان يظهر فى بادية الرأى ان اسم الارادة انما يطلق على من يقدر ان يفعل الشرّ وصدّه رأوا انهم ان لم يضعوا ان الموجودات جائزة لم يقدروا ان يقولوا بوجود فاعل مريد فقالوا ان الموجودات كلها جائزة ليثبتوا من ذلك ان المبدأ الفاعل مريد كانتهم لم يروا الترتيب الذى فى الامور الصناعية ضروريًا وهو مع ذلك صادر

وبالجملة متى رفعنا الاسباب والمسببات لم يكن هاهنا شئ يردّ به على القائلين بالاتفاق اعني الذين يقولون لا صانع هاهنا وانّ جميع ما حدث في هذا العالم انما هو عن الاسباب الماديّة لانّ احد الجائزين هو احقّ ان يقع عن الاتفاق منه ان يقع عن فاعل مختار وذلك انه اذا قال الاشعريّ ان وجود احد الجائزين او الجائزات هو دالّ على ان هاهنا مخصّصاً فاعلاً كان لاولئك ان يقولوا ان وجود الموجودات على احد الجائزين او الجائزات هو عن الاتفاق اذ الارادة انما تفعل لمكان سبب من الاسباب والذي يكون لغير علّة ولا سبب هو عن الاتفاق اذ كنا نرى اشياء كثيرة تحدث بهذه الصفة مثل ما يعرض للاستقسات ان تمتزج امتزاجاً ما بالاتفاق فيحدث عن ذلك الامتزاج بالاتفاق موجود ما ثم تمتزج ايضا امتزاجاً آخر فيحدث بالاتفاق عن ذلك الامتزاج بالاتفاق موجود آخر فتكون على هذا جميع الموجودات حادثة عن الاتفاق .٠. واما نحن فلما كنّا نقول انه واجب ان يكون هاهنا ترتيب ونظام لا يمكن ان يوجد اتقن منه ولا اتم منه وانّ الامتزاجات محدودة مقدّرة والموجودات الحادثة عنها واجبة وان هذا دائماً لا يخلّ لم يمكن ان يوجد ذلك عن الاتفاق لان ما يوجد عن الاتفاق هو اقلّ ضرورة والى هذا الاشارة بقوله تعالى صنع الله الذي اتقن كلّ شئ واتقن يكون ليت شعري في الموجودات ان كانت على الجواز لانّ الجائز ليس هو اولى بالشئ من ضده والى هذا الاشارة بقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور واتقن تفاوت اعظم من ان تكون الاشياء كلّها يمكن ان توجد على صفة اخرى فوجدت على هذه ولعلّ تلك الصفة المعدومة افضل من الموجودة فمن زعم مثلاً ان

تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل
 الشمس سراجاً والله انبتكم من الارض نباتاً ومثل قوله تعالى الله الذى
 جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً ولو ذهبنا لتعدد هذه الآيات ونفصل
 ما نبّهت عليه من العناية التى تدلّ على الصانع والمصنوع لما وسع ذلك
 مجلّدات كثيرة وليس قصدنا ذلك فى هذا الكتاب ولعلنا ان انسأ الله
 فى الاجل ووقع لنا فراغ ان نكتب كتاباً فى العناية التى نبّه عليها الكتاب
 العزيز .٠٠ وينبغى ان تعلم انّ هذا النوع من الاستدلال فى غاية المضادة
 للاستدلال الذى زعمت الاشعرية أنّه الطريق الى معرفة الله سبحانه وذلك
 انّهم زعموا انّ دلالة الموجودات على الله تبارك وتعالى ليس من اجل حكمة
 فيها تقتضى العناية ولكن من قبل الجواز اى من قبل ما يظهر فى جميع
 الموجودات أنّه جائز فى العقل ان يكون بهذه الصفة وبضدّها فأنّه ان كان
 هذا الجواز على السواء فليس هاهنا حكمة ولا توجد هاهنا موافقة اصلا
 بين الانسان وبين اجزاء العالم وذلك أنّه ان كان يمكن على زعمهم ان
 تكون الموجودات على غير ما هى عليه كوجودها على ما هى عليه فليس
 هاهنا موافقة بين الانسان وبين الموجودات التى امتنّ عليه الله بخلقها
 وامره بشكره عليها فانّ هذا الرأى الذى يلزمه ان يكون امكان خلق
 الانسان جزء من هذا العالم كامكان خلقه فى الخلاء مثلاً الذى يرون أنّه
 موجود بل والانسان عندهم يمكن ان يكون بشكل آخر وخلقاً اخرى
 ويوجد عنه فعل الانسان وقد يمكن عندهم ان يكون جزء من عالم آخر
 مخالف بالحد والشرح لهذا العالم فلا تكون نعمة هاهنا يمتنّ بها على
 الانسان لانّ ما ليس بضرورى ولا من جهة الافضل فى وجود الانسان

هذا القدر لما امكن ان نوجد فيها ولا ان نخلق عليها وهذا كله محصور في قوله تعالى الم نجعل الارض مهادًا وذلك انّ المهاد يجمع الموافقة في الشكل والسكون والوضع وزائدًا الى هذا معنى الوثارة واللين فما اعجب هذا لاعجاز وافضل هذه السعادة واغرب هذا الجمع وذلك انه قد جمع في لفظ مهاد جميع ما في الارض من موافقتها لكون الانسان عليها وذلك شي قد تبين على التمام للعلماء في ترتيب من الكلام طويل وقدر من الزمان غير يسير والله يختص برحمته من يشاء واما قوله تعالى والجبال اوتادًا فانه نبه بذلك على المنفعة الموجودة في سكون الارض من قبل الجبال فانه لو قدّرت الارض اصغر ممّا هي كانتك قلت دون الجبال لتزعزعت من حركات باقى الاسطقسات اعنى الماء والهواء ولتزلزلت وخرجت من موضعها ولو كان ذلك كذلك لهلك الحيوان ضرورة فاذًا موافقة سكونها لما عليها من الموجودات لم تعرض بالاتفاق وانما عرضت عن قصد قاصد وارادة مريد فهي ضرورة مصنوعة لذلك القاصد سبحانه وموجودة له على الصفة التي قدّرها لوجود ما عليها من الموجودات ثم نبه ايضا على موافقة وجود الليل والنهار للحيوان فقال تعالى وجعلنا الليل لباسًا والنهار معاشًا يريد انّ الليل جعله كالسترة واللباس للموجودات التي هاهنا من حرارة الشمس وذلك انه لولا غيبة الشمس بالليل لهلكت الموجودات التي جعل الله حياتها بالشمس وهو الحيوان والنبات فلما كان اللباس قد يقى من الحرّ مع انه سترة وكان الليل يوجد فيه هذان المعنيان سمّاه الله تعالى لباسًا وهذا من ابدع الاستعارة وفي الليل ايضا منفعة اخرى للحيوان وهو ان نومه يكون فيه مستغرقا لمكان ذهاب الضوء الذي يحرك الحواس الى ظاهري

حدوث العالم من الطرق البسيطة المعترف بها عند الجميع وواجب ان كان حدوثه ليس له مثال في الشاهد ان يكون الشرع استعمل في تمثيل ذلك حدوث الاشياء المشاهدة فاما الطريق التى سلكها الشرع في تعليم الجمهور ان العالم مصنوع لله تبارك وتعالى فانه اذا توهمت الآيات التى تضمنت هذا المعنى وجدت تلك الطرق هى طريق العناية وهى احدى الطرق التى قلنا انها الدالة على وجود الخالق تعالى وذلك انه كما ان الانسان اذا نظر الى شىء محسوس فرآه قد وضع بشكل ما وقدر ما ووضع ما موافق في جميع ذلك للمنفعة الموجودة في ذلك الشىء المحسوس والغاية المطلوبة حتى يعترف انه لو وجد بغير ذلك الشكل او بغير ذلك الوضع او بغير ذلك القدر لم توجد فيه تلك المنفعة علم على القطع ان لذلك الشىء صانعاً صنعه ولذلك وافق شكله ووضعه وقدره تلك المنفعة وانه ليس يمكن ان تكون موافقة اجتماع تلك الاشياء لوجود المنفعة بالاتفاق مثال ذلك انه اذا رأى انسان حجراً موجوداً على الارض فوجد شكله بصفة يتأتى منها الجلوس ووجد ايضا وضعه كذلك وقدره علم ان ذلك الحجر انما صنعه صانع وهو الذى وضعه كذلك وقدره في ذلك المكان واما متى لم يشاهد شياً من هذه الموافقة للجلوس فانه يقطع ان وقوعه في ذلك المكان ووجوده بصفة ما هو بالاتفاق ومن غير ان يجعله هنالك فاعل كذلك الامر في العالم كله فانه اذا نظر الانسان الى ما فيه من الشمس والقمر وسائر الكواكب التى هى سبب الزمنة الاربعة وسبب الليل والنهار وسبب الامطار والنباه والرياح وسبب عمارة اجزاء الارض ووجود الناس فيها وسائر الكائنات من الحيوانات والنبات وكون الارض موافقة لسكنى الناس فيها وسائر

محسوسة فأذا متى اخذ الشرع في اوصاف الله تبارك وتعالى على ظاهر لم تعرض فيه هذه الشبهة ولا غيرها لأنه اذا قيل له أنه نور وأن له حجابا من نور كما جاء في القرآن والسنن الثابتة ثم قيل ان المؤمنين يرونه في الآخرة كما ترى الشمس لم يعرض في هذا كله شك ولا شبهة في حق الجمهور ولا في حق العلماء وذلك أنه قد تبرهن عند العلماء ان تلك الحال مزيد علم لآكن متى صرح لهم به اعني للجمهور انبطلت عندهم الشريعة كلها او كفروا المصرح لهم بها فمن خرج عن منهاج الشرع في هذه الاشياء فقد ضلّ عن سواء السبيل وانت اذا تأملت الشرع وجدته مع أنه قد ضرب للجمهور في هذه المعاني المثالات التي لم يمكن تصوّرهم أيّاها دونها فقد نبه العلماء على تلك المعاني انفسها التي ضرب مثالاتها للجمهور فيجب ان يوقف عند حدّ الشرع في نحو التعليم الذي خصّ به صنفاً صنفاً من الناس وآلا يخلط التعليان كلاهما فتفسد الحكمة الشرعية النبوية ولذلك قال عليه السلام انا معشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم وان نغاطبهم على قدر عقولهم ومن جعل الناس شرعاً واحداً في التعليم فهو كمن جعلهم شرعاً واحداً في عمل من الاعمال وهذا كله خلاف المحسوس والمعقول فقد تبين لك من هذا ان الرؤية معنى ظاهر وأنه ليس يعرض فيه شبهة اذا اخذ الشرع على ظاهره في حق الله تبارك وتعالى اعني اذا لم يصرح فيه بنفي الجسسية ولا باثباتها وان قد تبينت عقائد الشرع الاول في التنزيه والمقدار الذي سلك في تعليم الجمهور من ذلك فقد ينبغى ان نسير الى الجزء الذي يتضمن معرفة افعال الله تبارك وتعالى وهو الفن الخامس من هذه الفنون وبه ينقضى القول في هذا الذي قصدناه

لهم ما هو البصر فلا بدّ من ان يقولوا هو قوّة تدرك بها المرئيات الالوان وغيرها ثمّ يقال لهم ما هو السمع فلا بدّ ان يقولوا هو قوّة تدرك بها الاصوات فاذا وضعوا هذا قيل لهم فهل البصر عند ادراكه الاصوات هو بصر فقط او سمع فقط فان قالوا سمع فقط فقد سلّموا انه لا يدرك الالوان وان قالوا بصر فقط فليس يدرك الاصوات واذا لم يكن بصراً فقط لانه يدرك الاصوات ولا سمعاً فقط لانه يدرك الالوان فهو بصر وسمع معاً وعلى هذا فستكون الاشياء كلّها شيئاً واحداً حتّى المتضادات وهذا شئ فيما احسبه يستلّمه المتكلّمون من اهل ملتنا او يلزمهم تسليمه وهو رأى سوفسطائى لاقوام قدماء مشهورين بالسفسطة وآما الطريقة الثانية التى سلكها المتكلّمون فى جواز الرويّة فهى الطريقة التى اختارها ابو المعالى فى كتابه المعروف بالارشاد وهى هذه الطريقة وتلخيصها انّ الحواسّ انما تدرك ذوات الاشياء وما تنفصل به الموجودات بعضها من بعض هى احوال ليست بذوات فالحواسّ لا تدركها وانما تدرك الذات والذات هى نفس الموجود المشترك لجميع الموجودات فاذا الحواسّ انما تدرك الشئ من حيث هو موجود وهذا كلّ فى غاية الفساد ومن ابين ما يظهر به فساد هذا القول انه لو كان البصر انما يدرك الاشياء لما امكنه ان يفرق بين الابيض والاسود لانّ الاشياء لا تفترق بالشئ الذى تشترك فيه ولا كان بالجملة يمكن فى الحواسّ لا فى البصر ان يدرك فصول الالوان ولا فى السمع ان يدرك فصول الاصوات ولا فى الطعم ان يدرك فصول المطعومات وللزم ان تكون مدارك المحسوسات بالجنس واحداً فلا يكون فرق بين مدرك السمع وبين مدرك البصر وهذا كلّ فى غاية الخروج عما يعقله الانسان وانما تدرك

يعرض من فرضها محال فاما ما عاندوا به قول المعتزلة ان كل مرثى فهو في جهة من الرأى فمنهم من قال ان هذا انما هو حكم الشاهد لا حكم الغائب وان هذا الموضع ليس هو من المواضع التى يجب فيها نقل حكم الشاهد الى الغائب وانه جائز ان يرى الانسان ما ليس في جهة اذا كان جائزا ان يرى الانسان بالقوة المبصرة نفسها دون عين وهولاء اختلط عليهم ادراك العقل مع ادراك البصر فان العقل هو الذى يدرك ما ليس في جهة اعنى في مكان واما ادراك البصر فظاهر من امره ان من شرطه ان يكون المرثى منه في جهة ولا في جهة فقط بل وفي جهة ما مخصوصة ولذلك ليس تتأتى الرؤية باى وضع اتفق ان يكون البصر من المرثى بل باوضاع محدودة وشروط محدودة ايضا وهى ثلاثة اشياء حضور الضوء والجسم الشفاف المتوسط بين البصر والبصر وكون المبصر ذا الوان ضرورة والرد لهذه الامور المعروفة بنفسها في الابصار هو رد للاوائل المعلومة بالطبع للجميع وابطال لجميع علوم المناظر والهندسة وقد قال القوم اعنى الاشعرية ان احد المواضع التى يجب ان ينقل فيها حكم الشاهد الى الغائب هو الشرط مثل حكمنا ان كل عالم حتى لكون الحياة تظهر في الشاهد شرطا في وجود العلم وان كان ذلك قلنا لهم وكذلك يظهر في الشاهد ان هذه الاشياء هى شروط في الرؤية فالحقوا الغائب فيها بالشاهد على اصلكم .

وقد رام ابو حامد في كتابه المعروف بالمقاصد ان يعاند هذه المقدمة اعنى ان كل مرثى في جهة من الرأى بان الانسان يبصر ذاته في المرآة وان ذاته ليست منه في جهة غير جهة مقابلة وذلك انه لما كان يبصر ذاته وكانت ذاته ليست تحل في المرآة التى في الجهة المقابلة فهو يبصر ذاته في

وأما حفظه للأمريين فلأن كثيرا من الناس لا يرى بينهما تعارضاً من جهة الجمع الذي استعمل بينهما وأكد هذا المعنى بان عرّف وجه الجمع بينهما وذلك في كتابه الذي سبّاه التفرقة بين الاسلام والزندقة وذلك أنه عدّد فيه اصناف التأويلات وقطع فيه على أن المؤول ليس بكافر وان خرق الاجماع في التأويل فاذاً ما فعل من هذه الاشياء فهو ضارّ للشرع بوجه والحكمة بوجه ولهما بوجه وهذا الذي فعله هذا الرجل اذا فحص عنه ظهر أنه ضارّ بالذات للأمريين جميعاً اعنى الحكمة والشرية وأنه نافع لهما بالعرض وذلك أن الافصاح بالحكمة لمن ليس باهلها يلزم عن ذلك بالذات أما ابطال الحكمة وأما ابطال الشريعة وقد يلزم عنه بالعرض الجمع بينهما والصواب كان ألا يصرح بالحكمة للجمهور وأما وقد وقع التصريح بالصواب ان تعلم الفرقة من الجمهور التي ترى أن الشريعة مخالفة للحكمة أنها ليست مخالفة لها وكذلك الذين يرون أن الحكمة مخالفة لها من الذين ينتسبون للحكمة أنها ليست مخالفة لها وذلك بان يعرف كلّ واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنههما بالحقيقة اعنى على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة وأن الرأي في الشريعة الذي اعتقد أنه مخالف للحكمة هو رأى أما مبتدع في الشريعة لا من اصلها وأما رأى خطأ في الحكمة اعنى تاويل خطأ عليها كما عرض في مسئلة علم الجزئيات وفي غيرها من المسائل ولهذا المعنى اضطررنا نحن في هذا الكتاب ان نعرّف اصول الشريعة فان اصولها اذا تؤمّلت وجدت اشدّ مطابقة للحكمة ممّا أول فيها وكذلك الرأي الذي ظنّ في الحكمة أنه مخالف للشرية يعرف أن السبب في ذلك أنه لم يحيط علماً بالحكمة ولا بالشرية ولذلك اضطررنا نحن ايضا الى وضع

في ادوية ذلك المركب غير التأويل الاول والثاني فعرض للناس من ذلك نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين فجاء متأول رابع فتأول دواء آخر غير الادوية المتقدمة فعرض منه للناس نوع رابع من المرض غير الامراض المتقدمة فلما طال الزمان بهذا المركب الاعظم وسلط الناس التأويل على ادويته وغيروها وبدلوها عرض منه للناس امراض شتى حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق اكثر الناس وهذه هي حال الفرقة الحادثة في هذه الطريقة مع الشريعة وذلك ان كل فرقة منهم تأولت في الشريعة تأويلا غير التأويل الذي تأولته الفرقة الاخرى وزعمت انه الذي قصده الشرع حتى تمزق الشرع كل ممزق وبعد جدا عن موضعه الاول ولما علم صاحب الشرع صلعم ان مثل هذا يعرض ولا بد في شريعته قال ستفترق امتي على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشرع ولم تؤوله تاويلا صرحت به للناس وانت اذا تأملت ما في هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبينت ان هذا المثال صميم واول من غير هذا الدواء الاعظم هم الخوارج ثم المعتزلة بعدهم ثم الاشعرية ثم الصوفية ثم جاء ابو حامد فطم الوادي على القرى وذلك انه صرح بالحكمة كلها للجمهور وباراء الحكماء على ما آذاه اليه فهمه وذلك في كتابه الذي سماه بالمقاصد فزعم انه انما ألف هذا الكتاب للرد عليهم ثم وضع كتابه المعروف بتهافت الفلاسفة فكفرهم فيه في مسائل ثلاثة من جهة خرقهم فيها للاجماع كما زعم وبدعهم في مسائل واتى فيه بحجج مشككة وشبه حيرة اضلت كثيرا من الناس عن الحكمة وعن الشريعة ثم

الجمهور وصنف عرضت لهم في هذه الاشياء شكوك ولم يقدرُوا على حلها وهؤلاء هم فوق العامة ودون العلماء وهذا الصنف هم الذين يوجد في حقهم التشابه في الشرع وهم الذين ذمهم الله تعالى وأما عند العلماء والجمهور فليس في الشرع تشابه فعلى هذا المعنى فينبغي ان يفهم التشابه ومثال ما عرض لهذا الصنف مع الشرع مثال ما يعرض لحبز البرّ مثلاً الذي هو الغذاء النافع لاكثر الابدان ان يكون لاقلّ الابدان ضاراً وهو نافع للاكثر وكذلك التعليم الشرعى هو نافع للاكثر وربما ضرّ بالقلّة ولهذا الاشارة بقوله تعالى وما يضلّ به الا الفاسقين لكن هذا انما يعرض في آيات الكتاب العزيز في الاقلّ منها والاقلّ من الناس واكثر ذلك هي الآيات التي تتضمن الاعلام عن اشياء في الغائب ليس لها مثال في الشاهد فيعتبر عنها بالشاهد الذي هو اقرب الموجودات اليها واكثرها شبهاً بها فيعرض لبعض الناس ان ياخذ المثل به هو المثال نفسه فتلزمه الحيرة والشك وهو الذي يسمى متشابهاً في الشرع وهذا ليس يعرض للعلماء ولا للجمهور وهم صنفان الناس بالحقيقة لان هؤلاء هم الاحياء والغذا الملائم انما يوافق ابدان الاحياء وأما اولئك المرضى والمرضى هم الاقلّ ولذلك قال تعالى وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وهؤلاء اهل الجدل والكلام واشدّ ما عرض على الشريعة من هذا الصنف انهم تأوّلوا كثيراً مما ظنّوه ليس على ظاهره وقالوا ان هذا التأويل ليس هو المقصود به وانما اتى الله به في صورة المتشابهة ابتلاء لعباده واختباراً لهم ونعوذ بالله من هذا الظنّ بالله بل نقول ان كتاب الله العزيز انما جاء مجزأً من جهة الوضوح والبيان فاذا ما ابعد من مقصد الشرع من قال فيما ليس

لجسم نفسه أصلاً وأما سطوح الاجسام المحيطة به فهي له مكان مثل
 سطوح الهواء المحيطة بالانسان وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء
 هي ايضاً مكان للهواء وهكذا الافلاك بعضها محيطة ببعض ومكان له وأما
 سطح الفلك الخارج فقد تبرهن انه ليس خارجة جسم لانه لو كان ذلك
 كذلك لوجب ان يكون خارج ذلك الجسم جسم اخر ويتر الامر الى غير
 نهاية فاذاً سطح آخر اجسام العالم ليس مكاناً أصلاً ان ليس يمكن ان
 يوجد فيه جسم لان كل ما هو مكان يمكن ان يوجد فيه جسم فاذاً ان
 قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة فواجب ان يكون غير جسم
 فالذى يمتنع وجوده هنالك هو عكس ما ظنه وهو موجود هو جسم
 لا موجود ليس بجسم وليس لهم ان يقولوا ان خارج العالم خلاء وذلك
 ان الخلاء قد تبين في العلوم النظرية امتناعه لان ما يدل عليه اسم الخلاء
 ليس هو شئ اكثر من ابعاد ليس فيها جسم اعني طولاً وعرضاً وعمقاً
 لانه ان رفعت الابعاد عنه عاد عدماً وان انزل الخلاء موجوداً لزم ان تكون
 اعراض موجودة في غير جسم وذلك ان الابعاد هي اعراض من باب الكمية
 ولا بد ولكنه قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة ان ذلك الموضع
 هو مسكن الروحانيين يريدون الله والملائكة وذلك ان ذلك الموضع
 ليس هو بمكان ولا يحويه زمان وذلك ان كل ما يحويه الزمان والمكان
 فاسد فقد يلزم ان يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن وقد تبين هذا
 المعنى مما اقوله وذلك انه لبا لم يكن هاهنا شئ الا هذا الموجود
 المكسوس او العدم وكان من المعروف بنفسه ان الموجود انما ينسب الى
 الوجود اعني انه يقال انه موجود اى في الوجود ان لا يمكن ان يقال انه

ذاته فقال تعالى الله نور السموات والارض وبهذا الوصف وصفه النبي صلعم في الحديث الثابت فانه جاء انه قيل له عليه السلام هل رايت ربك قال نوراني اراه وفي حديث الاسراء انه لما قرب صلعم من سدره المنتهى غشى السدره من النور ما حجب بصره من النظر اليها اولية سبحاته وفي كتاب مسلم ان لله حجاباً من نور لو كشف لاحرق سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وفي بعض روايات هذا الحديث سبعين حجاباً من نوره وينبغي ان تعلم ان هذا المثال هو شد يد المناسبة للخلق سبحانه لانه يجتمع فيه انه محسوس تجز الابصار عن ادراكه وكذلك الافهام مع انه ليس بجسم والوجود عند الجمهور انما هو المكسوس والمعدوم عندهم هو غير المكسوس والنور لما كان اشرف المكسوسات وجب ان يمثّل به اشرف الموجودات وهاهنا ايضا سبب اخر وجب ان يستى به نوراً وذلك ان حال وجوده من عقول العلماء الراغبين في العلم عند النظر اليه بالعقل هي حال الابصار عند النظر الى الشمس بل حال عيون الخفافيش وكان هذا الوصف لايقاً عند الصنفين من الناس وحققاً وايضا فان الله تبارك وتعالى لما كان سبب الموجودات وسبب ادراكنا لها وكان النور مع الالوان هذه صفته اعنى انه سبب وجود الالوان بالفعل وسبب رؤيتنا له فبالحق ما ستي الله تبارك وتعالى نفسه نوراً واذا قيل انه نور لم يعرض شك في الرؤية التي جاءت في المعاد فقد تبين لك من هذا القول الاعتقاد الاول الذي في هذه الشريعة في هذه الصفة وما حدث في ذلك من البدعة وانما سكنت الشرع عن هذه الصفة لانه لا يعترف بوجود في الغائب انه ليس بجسم الا من ادرك ببرهان ان في الشاهد موجوداً بهذه الصفة وهي النفس ولما كان الوقوف على

شريعتنا هذه اعني ان الكتاب العزيز نزل من السماء كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة وانبنى نزول الوحي من السماء على ان الله في السماء وكذلك كون الملائكة تنزل من السماء وتصعد اليها كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح وقال تعالى تعرج الملائكة والروح اليه وبالجمله جميع الاشياء التي تلزم القائلين بنفي الجهة على ما سذكره بعد عند التكلم في الجهة ومنها انه اذا صرح بنفي الجسمية وجب التصريح بنفي الحركة فاذا صرح بنفي هذا عسر ما جاء في صفة الحشر من ان البارئ يطلع على اهل الحشر وانه الذي يتولى حسابهم كما قال تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وذلك يصعب تأويل حديث النسرول المشهور وان كان التأويل اقرب اليه منه الى امر الحشر مع ان ما جاء في الحشر متواتر في الشرع فيجب ان لا يصرح بالجمهور بما يؤل عندهم الى ابطال هذه الظواهر فان تأثيرها في نفوس الجمهور انما هو اذا حملت على ظاهرها واما اذا اولت فانما يؤل الامر فيها الى احد امرين اما ان يسلط التأويل على هذه واشباه هذه في الشريعة فتتمزق الشريعة كلها وتبطل الحكمة المقصودة منها واما ان يقال في هذه كلها انها من المتشابهات وهذا كله ابطال للشريعة ومحو لها من النفوس من غير ان يشعر الفاعل لذلك بعظيم ما جناه على الشريعة مع أنك اذا اعتبرت الدلائل التي احمق بها المؤولون لهذه الاشياء تجدها كلها غير برهانية بل الظواهر الشرعية اقنع منها اعني ان التصديق بها اكثر وانت تثبت ذلك من قولنا في البرهان الذي بنوا عليه نفي الجسمية وكذلك تثبت ذلك في البرهان الذي بنوا عليه نفي الجهة على ما سنقوله بعد وقد يدل ذلك على ان الشرع

الشرعى قلنا الدليل عليه ما يظهر من ان الموجودات محفوظة لا يتخللها اختلال ولا فساد ولو كان الخالق تدركه غفلة او خطأ او نسيان او سهو لاختمت الموجودات وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى فى غير ما آية من كتابه فقال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده الآية وقال تعالى ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم فان قيل فما تقول فى صفة الجسمية هل هى من الصفات التى صرح الشرع بنفيها عن الخالق او هى من المسكوت عنها فنقول انه من البين من امر الشرع انها من الصفات المسكوت عنها وهى الى التصريح باثباتها فى الشرع اقرب منها الى نفيها وذلك ان الشرع قد صرح بالوجه واليدين فى غير ما آية من الكتاب العزيز وهذه الآيات قد توهم ان الجسمية هى له من الصفات التى فضل فيها الخالق المخلوق كما فضل فى صفة القدرة والارادة وغير ذلك من الصفات التى هى مشتركة بين الخالق والمخلوق ألا انها فى الخالق اتم وجوداً ولهذا صار كثير من اهل الاسلام الى ان يعتقدوا فى الخالق انه جسم لا يشبه سائر الاجسام وعلى هذا الحنابلة وكثير من تبعهم والواجب عندى فى هذه الصفة ان يجرى فيها على منهاج الشرع فلا يصرح فيها بنفى ولا اثبات ويحاب من سأل فى ذلك من الجمهور بقوله تعالى ليس كمثله شى وهو السميع البصير وينهى عن هذا السؤال وذلك لثلاثة معان احدهما ان ادراك هذا المعنى ليس هو قريباً من المعروف بنفسه برتبة واحدة ولا رتبتين ولا ثلاث وانت تتبين ذلك من الطريق التى سلكها المتكلمون فى ذلك فانهم قالوا ان الدليل على انه ليس بجسم انه قد تبين ان كل جسم محدث واذا سئلوا عن الطريق التى

الفصل الرابع في معرفة التنزيه

واذ قد تقرّر من هذه المناهج التي سلكها الشرع في تعليم الناس
 أوّل وجود الخالق سبحانه والطرق التي سلكها في نفى الشريك عنه ثانيًا
 والتي سلكها ثالثًا في معرفة صفاته والقدر الذي صرّح به من ذلك في
 جنس جنس من هذه الاجناس وهو القدر الذي زيد فيه او نقص او حرّف
 او أوّل لم تحصل به السعادة المشتركة للجميع فقد بقي علينا ان نعرف
 ايضا الطرق التي سلكها بالناس في تنزيه الخالق سبحانه عن النقائص
 ومقدار ما صرّح به من ذلك والسبب الذي من قبله اقتصر بهم على ذلك
 المقدار ثم نذكر بعد ذلك الطرق التي سلك بالناس في معرفة افعاله
 والقدر الذي سلك بهم من ذلك فاذا تمّ لنا هذا فقد استوفينا غرضنا
 الذي قصدناه فنقول امّا معرفة هذا الجنس الذي هو التنزيه والتقديس فقد
 صرّح به ايضا غير ما آية من الكتاب العزيز وايينها في ذلك واتّبعها قوله
 تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله افمن يخلق كمن لا يخلق
 هي برهان قوله تعالى ليس كمثله شيء وذلك أنّه من المعروف في فطر الجميع
 أنّ الخالق يجب ان يكون امّا على غير صفة الذي لا يخلق شيئا او على
 صفة غير شبيهة بصفة الذي لا يخلق شيئا وآلا كان من يخلق ليس بخالق
 فاذا اضيف الى هذا الاصل أنّ المخلوق ليس بخالق لزم عن ذلك ان
 تكون صفات المخلوق امّا منتفية عن الخالق واما موجودة في الخالق على
 غير الجهة التي هي عليها في المخلوق واما قلنا على غير الجهة لان من
 الصفات التي في الخالق صفات استدللنا على وجودها بالصفات التي في

القدر مّا يوصف به الله سبحانه ويستى به هو القدر الذى نصّ الشرع ان
 يعلمه الجمهور لا غير ذلك .-. ومن البدع التى حدثت فى هذا الباب
 السؤال عن هذه الصفات هل هى الذات ام زائدة على الذات اى هل هى
 صفة نفسية او صفة معنوية واعنى بالنفسية التى توصف بها الذات لنفسها
 لا لقيام معنى فيها زائد على الذات مثل قولنا واحد وقديم والمعنوية التى
 توصف بها الذات لمعنى قائم فيها فانّ الاشعرية يقولون انّ هذه الصفات
 هى صفات معنوية وهى صفات زائدة على الذات فيقولون انّ عالم بعلم
 زائد على ذاته وحتى بحياة زائدة على ذاته كالحال فى الشاهد ويلزمهم على
 هذا ان يكون الخالق جسماً لانه يكون هنالك صفة وموصوف وحامل
 ومحمول وهذه هى حال الجسم وذلك انّ الذات لا بدّ ان يقولوا انها قائمة
 بذاتها والصفات قائمة بها او يقولوا انّ كلّ واحد منها قائم بنفسه فالآلهة
 كثيرة وهذا قول النصارى الذين زعموا انّ الاقانيم ثلاثة اقانيم الوجود
 والحياة والعلم وقد قال تعالى فى هذا لقد كفر الذين قالوا انّ الله ثالث
 ثلاثة وان قالوا احدهما قائم بذاته والاخر قائم بالقائم بذاته فقد اوجبوا
 ان يكون جوهرًا وعرضًا لانّ الجوهر هو القائم بذاته والعرض هو القائم بغيره
 والمؤلف من جوهر وعرض جسم ضرورة وكذلك قول المعتزلة فى هذا الجواب
 ان الذات والصفات شى واحد هو امر بعيد من المعارف الاول بل يظنّ انّه
 مضادّ لها وذلك انّه يظنّ ان من المعارف الاول انّ العلم يجب ان يكون
 غير العالم وانّه ليس يجوز ان يكون العلم هو العالم الا لو جاز ان يكون
 احد المضامين قرينة مثل ان يكون الاب والابن معنى واحدًا بعينه فهذا
 تعليم بعيد عن افهام الجمهور والتصريح به بدعة وهو ان يضلّل الجمهور

واسطة لفظ يخلقه بل بانكشاف ذلك المعنى له بفعل يفعله في نفس
المخاطب كما قال تبارك وتعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده
ما أوحى ومن وراء حجاب هو الكلام الذي يكون بواسطة الفاظ يخلقها في
نفس الذي اصطفاه بكلامه وهذا هو كلام حقيقي وهو الذي خص الله به
موسى ولذلك قال تعالى وكلم الله موسى تكليماً وأما قوله أو يرسل رسولا
فهذا هو القسم الثالث وهو الذي يكون منه بواسطة الملك وقد يكون من
كلام الله ما يلقيه إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بواسطة البراهين
وبهذه الجهة صح عذ العلماء أن القرآن كلام الله فقد تبين لك أن القرآن
الذي هو كلام الله قديم وأن اللفظ الدال عليه مخلوق له سبحانه لا
لبشر وبهذا باين لفظ القرآن الالفاظ التي ينطق بها في غير القرآن اعني
ان هذه الالفاظ هي فعل لنا باذن الله والفاظ القرآن هي خلق الله ومن
لم يفهم هذا على هذا الوجه لم يفهم هذه الصورة ولا يفهم كيف يقال في
القرآن أنه كلام الله وأما الحروف التي في المعحف فانما هي من صنعنا
باذن الله وانما وجب لها التعظيم لأنها دالة على اللفظ المخلوق لله
وعلى المعنى الذي ليس بمخلوق ومن نظر إلى اللفظ دون المعنى اعني
لم يفصل الامر قال أن القرآن مخلوق ومن نظر إلى المعنى الذي يدل عليه
اللفظ قال أنه غير مخلوق والحق هو الجمع بينهما والاشعرية فقد نفوا ان
يكون المتكلم فاعلاً للكلام لأنهم تخيلوا أنهم اذا سلموا هذا الاصل وجب
ان يعترفوا أن الله فاعل لكلامه ولما اعتقدوا أن المتكلم هو الذي يقول
الكلام بذاته ظنوا أنهم يلزمهم عن هذين الاصلين ان يكون الله فاعلاً
للكلام بذاته فتكون ذاته محلاً للحوادث فقالوا المتكلم ليس فاعلاً للكلام

المحدث في وقت حدوثه بعلم قديم بانه يلزم عن هذا ان يكون العلم بالمحدث في وقت عدمه وفي وقت وجوده علماً واحداً وهذا امر غير معقول ان كان العلم واجباً ان يكون تابعاً للموجود ولما كان الموجود تارة يوجد فعلاً وتارة يوجد قوة وجب ان يكون العلم بالموجودين مختلفاً ان كان وقت وجوده بالقوة غير وقت وجوده بالفعل وهذا شئ لم يصرح به الشرع بل الذي صرح به خلافه وهو انه يعلم المحدثات حين حدوثها كما قال تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فينبغي ان يوضع في الشرع انه عالم بالشئ قبل ان يكون على انه سيكون وعالم بالشئ اذا كان على انه قد كان وعالم بما قد تلف انه تلف في وقت تلفه وهذا هو الذي تقتضيه اصول الشرع وانما كان هذا هكذا لان الجمهور لا يفهمون من العالم في الشاهد غير هذا المعنى وليس عند المتكلمين برهان يوجب ان يكون بغير هذه الصفة الا انهم يقولون ان العلم المتغير بتغير الموجودات هو محدث ولبارئ سبحانه لا يقوم به حادث لان ما لا ينفك عن الحوادث زعموا حادث وقد بينا نحن كذب هذه المقدمة فاذا الواجب ان تقر هذه القاعدة على ما وردت ولا يقال انه يعلم حدوث المحدثات وفساد الفاسدات لا بعلم محدث ولا بعلم قديم فان هذه بدعة في الاسلام وما كان ربك نسياً وانما صفة الحياة فظاهر وجودها من صفة العلم وذلك انه يظهر في الشاهد ان من شرط العلم الحياة والشرط عند المتكلمين يجب ان ينتقل فيه الحكم من الشاهد الى الغائب وما قالوه في ذلك صواب وانما صفة الارادة فظاهر اتصافه بها ان كان من شرط صدور الشئ عن الفاعل العالم ان يكون مريداً له وكذلك

ليس ينبغي ان يفهم من قوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض من جهة اختلاف الافعال فقط بل ومن جهة اتفاتها فان الافعال المتفقة تتعاون في ورودها على المحال الواحد كما تتعاون الافعال المختلفة وهذا هو الفرق بين ما فهمناه نحن من الآية وما فهمه المتكلمون وان كان قد يوجد في كلام ابي المعالي اشارة الى هذا الذي قلناه وقد يدل ذلك على ان الدليل الذي فهمه المتكلمون من الآية ليس هو الدليل الذي تضمنت الآية ان المحال الذي افضى اليه دليلهم غير المحال الذي افضى اليه الدليل المذكور في الآية وذلك المحال الذي افضى اليه الدليل الذي زعموا انه دليل الآية هو اكثر من محال واحد ان قسموا الامر الى ثلاثة اقسام وليس في الآية تقسيم فدليلهم الذي استعملوه هو الذي يعرفه اهل المنطق بالقياس الشرطي المنفصل ويعرفونه في صناعتهم بدليل السبر والتقسيم والدليل الذي في الآية هو الذي يعرف في صناعة المنطق بالشرطي المتصل وهو غير المنفصل ومن نظر في تلك الصناعة ادنى نظر تبين له الفرق بين الدليلين وايضا فان المحالات التي افضى اليها دليلهم غير المحال الذي افضى اليه دليل الكتاب وذلك ان المحال الذي افضى اليه دليلهم هو ان يكون العالم اما لا موجودا ولا معدوما واما ان يكون موجودا معدوما واما ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذه مستحيلات دائمة الاستحالة اكثر من واحد والمحال الذي افضى اليه دليل الكتاب ليس مستحيلا على الدوام وانما علق الاستحالة فيه في وقت مخصوص وهو ان يوجد العالم فاسدا في وقت الوجود فكانه قال لو كان فيهما آلهة الا الله لوجد العالم فاسدا في الآن ثم استثنى انه غير فاسد فواجب الا يكون هنالك الا اله

خلق فهذا ردّ منه على من يضع آلهة كثيرة مختلفة الافعال وذلك أنّه يلزم في الآلهة المختلفة الافعال التي لا يكون بعضها مطيعاً لبعض ان لا يكون عنها موجود واحد ولما كان العالم واحداً وجب ألا يكون موجوداً عن آلهة متفننة الافعال وأما قوله تعالى قل لو كان معه الهة كما تقولون إذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلاً فهي كالأية الاولى اعنى أنّه برهان على امتناع الهين فعلهما واحد ومعنى هذه الآية أنّه لو كان فيهما الهة قادرة على ايجاد العالم وخلقه غير الاله الموجود حتى تكون نسبته من هذا العالم نسبة الخالق له لوجب ان يكون على العرش معه فكان يوجد موجودان متماثلان ينسبان الى محلّ واحد نسبة واحدة فانّ المثليين لا ينسبان الى محلّ واحد نسبة واحدة لآله اذا اتحدت النسبة اتحد المنسوب اعنى لا يجتمعان في النسبة الى محلّ واحد كما لا يجلان في محلّ واحد اذا كانا متماثلانهما ان يقوموا بالمحلّ وان كان الامر في نسبة الاله الى العرش ضدّ هذه النسبة اعنى انّ العرش يقوم به لا أنّه يقوم بالعرش ولذلك قال الله وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما فهذا هو الدليل الذى بالطبع والشرع في معرفة الوحدةانية وانما الفرق بين العلماء والجمهور في هذا الدليل انّ العلماء يعلمون من ايجاد العالم وكون اجزائه بعضها من اجل بعض بمنزلة الجسد الواحد اكثر ممّا يعلمه الجمهور من ذلك ولهذا المعنى الاشارة بقوله تعالى في آخر الآية سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً يستج له السموات السبع والارض ومن فيهنّ وان من شئ الا يستج بحمده ولاكن لا يفقهون تسبيحهم أنّه كان حليماً غفوراً وأما ما تتكلف الاشعرية من الدليل الذى يستنبطونه من هذه الآية وهو الذى يستنونه دليل الممانعة

هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ومن دلالات الموجودات من هاتين الجهتين عليه هو التسبيح المشار اليه في قوله تبارك وتعالى وان من شئ الا يستج بحمده ولاكن لا يفقهون تسبيحهم فقد بان من هذه الادلة ان الدلالة على وجود الصانع منحصرة في هذين الجنسيتين دلالة العناية ودلالة الاختراع وتبين ان هاتين الطريقتين هما باعياذهما طريقة الخواص واعنى بالخواص العلماء وطريقة الجمهور وانما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل اعنى ان الجمهور يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الاولى المبنية على علم الحس واما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الاشياء بالحس ما يدرك بالبرهان اعنى من العناية والاختراع حتى لقد قال بعض العلماء ان الذى ادركه العلماء من معرفة اعضاء الانسان والحيوان هو قريب من كذا وكذا آلاف منفعة واذا كان هذا هكذا فهذه الطريقة هي الطريقة الشرعية والطبيعية وهى التى جاءت بها الرسل ونزلت بها الكتب والعلماء ليس يفضلون الجمهور في هذين الاستدلاليين من قبل الكثرة فقط بل ومن قبل التعمق في معرفة الشئ الواحد نفسه فان مثال الجمهور في النظر الى الموجودات مثالهم في النظر الى المصنوعات التى ليس عندهم علم بصنعها فانهم انما يعرفون من امرها انها مصنوعات فقط وان لها صانعا موجودا ومثال العلماء في ذلك مثال من نظر الى المصنوعات التى عنده علم ببعض صنعها وبوجه الحكمة فيها ولا شك ان من حاله من العلم بالمصنوعات هذه الحال فهو اعلم بالصانع من جهة ما هو صانع من الذى لا يعرف من تلك المصنوعات الا انها مصنوعة فقط واما مثال الدهرية في هذا الذين

اجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً ان هاهنا موجدًا للحياة ومنعمًا لها وهو الله تبارك وتعالى وأما السموات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تفتقر انها مأمورة بالعناية بما هاهنا ومخترة لنا والمختار المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة وأما الاصل الثاني فهو ان كل مخترع فله مخترع فيصم من هذين الاصلين ان للموجود فاعلاً مخترعاً له وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات ولذلك كان واجباً على من اراد معرفة الله حق معرفته ان يعرف جواهر الاشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لان من لم يعرف حقيقة الشئ لم يعرف حقيقة الاختراع والى هذا الاشارة بقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وكذلك ايضا من تتبّع معنى الحكمة في موجود موجود اعنى معرفة السبب الذى من اجله خلق والغاية المقصودة به كان وقوفه على دليل العناية اتم فهذان الدليلان هما دليلا الشرع وأما ان الآيات المنبّهة على الادلة المفضية الى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي منحصرة في هذين الجنسين من الادلة فذلك بيّن لمن تأمل الآيات الواردة فى الكتاب العزيز فى هذا المعنى وذلك ان الآيات التى فى الكتاب العزيز فى هذا المعنى اذا تصفّحت وجدت على ثلاثة انواع اما آيات تتضمّن التنبيه على دلالة العناية واما آيات تتضمّن التنبيه على دلالة الاختراع واما آيات تجمع الامرين من الدلالة جميعاً فاما الآيات التى تتضمّن دلالة العناية فقط فمثل قوله تعالى الم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً الى قوله وجنّات الفأنا ومثل قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ومثل قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية ومثل هذا كثير فى

مرکبة من مقدمات واقیسة وانما یزعمون ان المعرفة بالله وبغیره من الموجودات شی یلقى فی النفس عند تجربیدها من العوارض الشهوانیة. واقبالها بالفكرة على المطلوب ویحتجون لتصحیح هذا بطواهر من الشرع كثيرة مثل قوله تعالى واتقوا الله ویعلّمکم الله ومثل قوله تعالى والذین جاهدوا فینا لنهدیّتهم سبلنا ومثل قوله ان تتقوا الله یجعل لکم فرقاناً الى اشباه ذلك كثيرة یظنّ انها عاضدة لهذا المعنی ونحن نقول ان هذه الطريقة وان سلّمنا وجودها بانّها لیست عامّة للناس بما هم ناس ولو كانت هذه الطريقة هی المقصودة بالناس لبطلت طريقة النظر ولکان وجودها بالناس عبثاً والقرآن کلّه انما هو دعاء الى النظر والاعتبار وتنبیه على طرق النظر نعم لسنا ننکر ان تكون اماتة الشهوات شرطاً فی صحّة النظر مثلما تكون الحقّة شرطاً فی ذلك لا ان اماتة الشهوات هی التي تفید المعرفة بذاتها وان كانت شرطاً فیها کما ان الحقّة شرط فی التعلّم وان كانت لیست مفیدة له ومن هذه الجهة دعا الشرع الى هذه الطريقة وحثّ علیها فی جملة حثّاً اعنی على العمل لا انها کافیة بنفسها کما ظنّ القوم بل ان كانت نافعة فی النظریّة فعلى الوجه الذى قلنا وهذا یتّین عند من انصف واعتبر الامر بنفسه واما المعتزلة فانه لم یصل الینا فی هذه الجزیرة من کتبهم شی نقف منه على طرقهم التي سلکوها فی هذا المعنی ویشبه ان تكون طرقهم من جنس طرق الاشعریّة فان قیل فاذا قد تبین ان هذه الطرق کلّها لیست واحدة منها هی الطريقة الشرعیّة التي دعا الشرع منها جمیع الناس على اختلاف فطرتهم الى الاقرار بوجود البارئ سبحانه فما هی الطريقة الشرعیّة التي نبّه الکتاب العزیز علیها واعتمدتها العصابة رضوان

المعالي فانه رام ان يبين هذه المقدمة بمقدمات احداها ان الجائز لا بد
 له من مخصص يجعله باحد الوصفين الجائزين اولى منه بالثاني والثانية
 ان هذا المخصص لا يكون الا مريداً والثالثة ان الموجود عن الارادة هو
 حادث ثم بين ان الجائز يكون عن الارادة اى عن فاعل مريد من قبل
 ان كل فعل فاما ان يكون عن الطبيعة واما عن الارادة والطبيعة ليس
 يكون عنها احد الجائزين الماثلين اعنى لا تفعل الماثل دون ماثله بل
 تفعلها مثال ذلك ان السقمونيا ليس تجذب الصفراء التى فى الجانب
 الايمن من البدن مثلاً دون التى فى اليسر واما الارادة فهى التى تختص
 الشىء دون ماثله ثم اضاف الى هذه ان العالم ماثل كونه فى الموضع
 الذى خلق فيه من الجو الذى خلق فيه يريد الخلاء لكونه فى غير ذلك
 الموضع من ذلك الخلاء فافق عن ذلك ان العالم خلق عن ارادة
 والمقدمة القائلة ان الارادة هى التى تخص احد الماثلين صحيحة والقائلة
 ان العالم فى خلاء يحيط به كاذبة او غير بيّنة بنفسها ويلزم ايضا عن
 وضعه هذا الخلاء امر شنيع عندهم وهو ان يكون قديماً لانه ان كان محدثاً
 احتاج الى خلاء واما المقدمة القائلة ان الارادة لا يكون عنها الا مراد
 محدث فذلك شىء غير بين وذلك ان الارادة التى بالفعل فهى مع فعل
 المراد نفسه لان الارادة من المضاق وقد تبين انه اذا وجد احد
 المضافين بالفعل وجد الآخر بالفعل مثل الاب والابن واذا وجد احدهما
 بالقوة وجد الآخر بالقوة فان كانت الارادة التى بالفعل حادثة فالمراد ولا
 بد حادث بالفعل وان كانت الارادة التى بالفعل قديمة فالمراد الذى
 بالفعل قديم واما الارادة التى تتقدم المراد فهى الارادة التى بالقوة اعنى

تكون شرقية والمقدمة الثانية ان الجائر محدث وله محدث اى فاعل صيره
 باحدى الجائزين اولى منه بالآخر فاما المقدمة الاولى فهى خطيئة وفى
 بادى الراى وهى اما فى بعض اجزاء العالم فظاهر كذبها بنفسه مثل كون
 الانسان موجودا على خلقه غير هذه الخلقة التى هو عليها وفى بعضه
 الامر فيه مشكوك مثل كون الحركة الشرقية غربية والغربية شرقية ان كان
 ذلك ليس معروفا بنفسه ان كان يمكن ان يكون لذلك علة غير بينة
 الوجود بنفسها او تكون من العلة الخفية على الانسان ويشبه ان يكون
 ما يعرض للانسان فى اول الامر عند النظر فى هذه الاشيا شبيها بما يعرض
 لمن ينظر فى اجزاء المصنوعات من غير ان يكون من اهل تلك الصنائع
 وذلك ان الذى هذا شانه قد سبق الى ظنه ان كل ما فى تلك المصنوعات
 او جلها ممكن ان يكون بخلاف ما هو عليه ويوجد عن ذلك المصنوع
 ذلك الفعل بعينه الذى صنع من اجله اعنى غايته فلا يكون فى ذلك
 المصنوع عند هذا موضع حكمة واما الصانع والذى يشارك الصانع فى شى
 من علم ذلك فقد يرى ان الامر بضد ذلك وانه ليس فى المصنوع الا شى
 واجب ضرورى او ليكون به المصنوع اتم وافضل ان لم يكن ضروريا فيه
 وهذا هو معنى الصناعة والظاهر ان المخلوقات شبيهة فى هذا المعنى
 بالمصنوع فسبحان الخلاق العظيم فهذه المقدمة من جهة انها خطيئة
 قد تصلح لاتناع الجميع ومن جهة انها كاذبة ومبطللة لحكمة الصانع فليست
 تصلح لهم واما صارت مبطللة للحكمة لان الحكمة ليست شيا اكثر من
 معرفة اسباب الشى واذا لم تكن للشى اسباب ضرورية تقتضى وجوده على
 الصفة التى هو بها ذلك النوع موجود فليس هاهنا معرفة يختص بها

القدماء في العالم انه يتكوّن واحد بعد اخر ولهذا لما شعر المتأخرون من المتكلمين بوهي هذه المقدمة راموا شدّها وتقريبها بان يّبنوا في زعمهم انه لا يمكن ان تتعاقب على محلّ واحد اعراض لا نهاية لها وذلك انهم زعموا انه يجب عن هذا الموضع ان لا يوجد منها في المحلّ عرض ما مشار اليه الا وقد وجدت قبله اعراض لا نهاية لها وذلك يوّدّي الى امتناع الموجود منها اعني المشار اليه لانه يلزم الا يوجد الا بعد انقضاء ما لا نهاية له ولما كان ما لا نهاية له لا ينقضي وجب الا يوجد هذا المشار اليه اعني المفروض موجودًا مثال ذلك ان الحركة الموجودة اليوم للجرم السماوي ان كان قد وجد قبلها حركات لا نهاية لها فقد كان يجب الا توجد ومثلوا ذلك برجل قال لرجل لا اعطيك هذا الدينار حتى اعطيك قبله دنائير لا نهاية لها فليس يمكن ان يعطيه ذلك الدينار المشار اليه ابدًا وهذا التمثيل ليس بعجيب لان في هذا التمثيل وضع مبدأ ونهاية ووضع ما بينهما غير متناه لان قوله وقع في زمان محدود واعطاؤه الدينار يقع ايضا في زمن محدود فاشتراط هو ان يعطيه الدينار في زمان يكون بينه وبين الزمان الذي تكلم فيه ازمة لا نهاية لها وهي التي يعطيه فيها دنائير لا نهاية لها وذلك مستحيل فهذا التمثيل يّبن من امره انه لا يشبه المسئلة الممثل بها واما قولهم ان ما يوجد بعد وجود اشياء لا نهاية لها لا يمكن وجوده فليس صادقًا في جميع الوجوه وذلك ان الاشياء التي بعضها قبل بعض توجد على نحوين اما على جهة الدور واما على جهة الاستقامة فالتى توجد على جهة الدور الواجب فيها ان تكون غير متناهية الا ان يعرض عنها ما ينهيها مثال ذلك انه ان كان شروق فقد

فهى مقدمة مشكوك فيها وخفاء هذا المعنى فيها كحفاة فى الجسم وذلك انا انما شاهدنا بعض الاجسام محدثة وكذلك بعض الاعراض فلا فرق فى النقلة من الشاهد فى كليهما الى الغائب فان كان واجباً فى الاعراض ان ينقل حكم الشاهد منها الى الغائب اعنى ان نحكم بالحدوث على ما لم نشاهده منها قياساً على ما شاهدناه فقد يجب ان يفعل ذلك فى الاجسام ونستغنى عن الاستدلال بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وذلك ان الجسم السماوى وهو المشكوك فى الحاقه بالشاهد الشك فى حدوث اعراضه كالشك فى حدوثه نفسه لانه لم يحس حدوثه لا هو ولا اعراضه ولذلك ينبغى ان نجعل الفحص عنه من امر حركته وهى الطريق التى تفضى بالسالكين الى معرفة الله بيقين وهى طريق الخواص وهى التى خص الله به ابراهيم عليه السلام فى قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين لان الشك كله انما هو فى الاجرام السماوية واكثر النظار انتهوا اليها واعتقدوا انها آلهة وايضا فان الزمان من الاعراض ويعسر تصور حدوثه وذلك ان كل حادث فيجب ان يتقدمه العدم بالزمان فان تقدم عدم الشئ على الشئ لا يتصور الا من قبل الزمان وايضا فان المكان الذى يكون فيه العالم اذا كان كل متكون بالمكان سابق له يعسر تصور حدوثه ايضا لانه ان كان خلاء على رأى من يرى ان الخلاء هو المكان يحتاج ان يتقدم حدوثه ان فرض حادثاً خلاء آخر وان كان المكان نهاية الجسم المحيط بالمتكّن على الرأى الثانى لزم ان يكون ذلك الجسم فى مكان فيحتاج الجسم الى جسم ويمر الامر الى غير نهاية وهذه كلها شكوك عويصة وادلتهم التى يلتمسون بها بيان ابطال قدم الاعراض انما

ينفك عن الحوادث حادث اعنى ما لا يخلو من الحوادث هو حادث فاما
المقدمة الاولى وهى القائلة ان الجواهر لا تتعزى من الاعراض فان عنوا بها
الاجسام المشار اليها القائمة بذاتها فهى مقدمة صحيحة وان عنوا بالجواهر
الجزء الذى لا ينقسم وهو الذى يريدونه بالجواهر الفرد ففيها شك ليس
باليسير وذلك ان وجود جوهر غير منقسم ليس معروفاً بنفسه وفي وجوده
اقاويل متضادة شديدة التعاند وليس في قوة صناعة الكلام تخلص الحق
منها وانما ذلك لصناعة البرهان واهل هذه الصناعة قليل جداً والدلائل
التي تستعملها الاشعرية في اثباته هى خطيبة في الاكثر وذلك ان استدلالهم
المشهور في ذلك هو أنهم يقولون ان من المعلومات الاول ان الفيل مثلا
انما نقول فيه انه اعظم من النملة من قبل زيادة اجزاء فيه على اجزاء
النملة واذا كان ذلك كذلك فهو مؤلف من تلك الاجزاء وليس هو واحداً
بسيطاً واذا فسد الجسم فاليها ينحل واذا تركب فمنها يتركب وهذا الغلط
انما دخل عليهم من شبه الكمية المنفصلة بالمتصلة فظنوا ان ما يلزم
في المنفصلة يلزم في المتصلة وذلك ان هذا يصدق في العدد اعنى ان
نقول ان عدداً اكثر من عدد من قبل كثرة الاجزاء الموجودة فيه اعنى
الوحدات واما الكم المتصل فليس يصدق ذلك فيه ولذلك نقول في الكم
المتصل انه اعظم واكبر ولا نقول انه اكثر واقل ونقول في العدد انه اكثر
واقل ولا نقول اكبر واصغر وعلى هذا القول فتكون الاشياء كلها اعداداً ولا
يكون هنالك عظم متصل اصلاً فتكون صناعة الهندسة هى صناعة العدد
بعينها ومن المعروف بنفسه ان كل عظم فانه ينقسم بنصفين اعنى
الاعظام الثلاثة التى هى الخط والسطح والجسم وايضا فان الكم المتصل

غير برهانية ولا مفضية بيقين الى وجود البارئ وذلك انه اذا فرضنا ان العالم محدث لزم كما يقولون ان يكون له ولا بد فاعل محدث ولاكن يعرض في وجود هذا المحدث شك ليس في قوة صناعة الكلام الانفصال عنه وذلك ان هذا المحدث لسنا نقدر ان نجعله ازلًا ولا محدثًا اما كونه محدثًا فلانه يفتقر الى محدث وذلك المحدث الى محدث ويمر الامر الى غير نهاية وذلك مستحيل وانما كونه ازلًا فانه يجب ان يكون فعله المتعلق بالمفعولات ازلًا فتكون المفعولات ازلية والحادث يجب ان يكون وجوده متعلقًا بفعل حادث اللهم الا لو سلموا انه يوجد فعل حادث عن فاعل قديم فان المفعول لا بد ان يتعلق به فعل الفاعل وهم لا يسلمون ذلك فان من اصولهم ان المقارن للحوادث حادث وايضا ان كان الفاعل حينًا يفعل وحينًا لا يفعل وجب ان تكون هنالك علة صيرته باحدى الحالتين اولى منه بالآخرى فيستل ايضا في تلك العلة مثل هذا السؤال وفي علة العلة فيمر الامر الى غير نهاية وما يقوله المتكلمون في جواب هذا من ان الفعل الحادث كان بارادة قديمة ليس بمنج ولا مخلص من هذا الشك لان الارادة غير الفعل المتعلق بالمفعول واذا كان المفعول حادثًا فواجب ان يكون الفعل المتعلق بايجاده حادثًا وسواء فرضنا الارادة قديمة او حديثة متقدمة على الفعل او معه فكيف ما كان فقد يلزمهم اما ان يجوزوا على القديم احد ثلثة امور اما ارادة حادثة وفعل حادث واما فعل حادث وارادة قديمة واما فعل قديم وارادة قديمة والحادث ليس يمكن ان يكون عن فعل قديم بلا واسطة ان سلمنا لهم انه يوجد عن ارادة قديمة ووضع الارادة نفسها هي للفعل المتعلق بالمفعول شئ لا يعقل وهو كفرض مفعول

الطريق التي نصبها للجميع مفضية الى معرفة وجود الله تعالى ودعاهم من قبلها الى الاقرار به وذلك انه يظهر من غير ما آية من كتاب الله انه دعا الناس فيها الى التصديق بوجود الباري بادلّة عقلية منصوص عليها فيها مثل قوله تبارك وتعالى يا ايّها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الآية ومثل قوله تعالى افى الله شكّ فاطر السموات الى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى وليس لقائل ان يقول انه لو كان ذلك واجباً على كلّ من آمن بالله اعنى لا يصحّ ايمانه الا من قبل وقوعه عن هذه الادلّة لكان النبي صلعم لا يدعو احدا الى الاسلام الا عرض عليه هذه الادلّة فان العرب كلّها تعترف بوجود الباري سبحانه ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله ولا يمتنع ان يوجد من الناس من تبلغ به فدامة العقل وبلادة القرينة الى ان لا يفهم شيئا من الادلّة الشرعيّة التي نصبها صلعم للجمهور وهذا فهو اقلّ الوجود فاذا وجد ففرضه الايمان بالله من جهة السماع فهذه حال الحشويّة مع ظاهر الشرع واما الاشعريّة فانهم رأوا انّ التصديق بوجود الله تبارك وتعالى لا يكون الا بالعقل لاكن سلكوا فى ذلك طرقاً ليست هى الطرق الشرعيّة التي نبتّه الله عليها ودعا الناس الى الايمان به من قبلها وذلك انّ طريقتهم المشهورة انبنت على بيان انّ العالم حادث وانبنى عندهم حدوث العالم على القول بتركيب الاجسام من اجزاء لا تتجزّأ وانّ الجزء الذى لا يتجزّأ محدث والاجسام محدثة بحدوثه وطريقتهم التي سلكوا فى بيان حدوث الجزء الذى لا يتجزّأ وهو الذى يستونه الجوهرة الفردية طريقة معتصمة تذهب على كثير من اهل الرياضة فى صناعة الجدول فضلاً عن الجمهور ومع ذلك فهى طريقة

مستباح الدم والمال وهذا كله عدول عن مقصد الشارع وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة واشهر هذه الطوائف في زماننا هذا اربعة الطائفة التي تسمى بالاشعرية وهم الذين يرى اكثر الناس اليوم انهم اهل السنة والتي تسمى بالمعتزلة والطائفة التي تسمى بالباطنية والطائفة التي تسمى بالحشوية وكل هذه الطوائف قد اعتقدت في الله اعتقادات مختلفة وصرفت كثيراً من الفاظ الشرع عن ظاهرها الى تأويلات نزلوها على تلك الاعتقادات وزعموا انها الشريعة الاولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس وان من زاع عنها فهو اما كافر واما مبتدع واذا توّملت جميعها وتوّمت مقصد الشرع ظهر ان جلّها اقاريل محدثة وتأويلات مبتدعة وانا اذكر من ذلك ما يجري مجرى العقائد الواجبة في الشرع التي لا يتم الايمان الا بها واتحري في ذلك كله مقصد الشارع صلعم دون ما جعل اصلا في الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل الذي ليس بعحيح وابتدئ من ذلك بتعريف ما قصد الشارع ان يعتقده الجمهور في الله تبارك وتعالى والطرق التي سلك بهم في ذلك وذلك في الكتاب العزيز ونبدئ من ذلك بمعرفة الطريق التي تفضي الى وجود الصانع اذ كانت اول معرفة يجب ان يعرفها المكلف وقبل ذلك فينبغي ان نذكر آراء تلك الفرق المشهورة في ذلك فنقول اما الفرقة التي تدعى بالحشوية فانهم قالوا ان طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل اعني ان الايمان بوجوده الذي كلف الناس التصديق به يكفي فيه ان يتلقى من صاحب الشرع ويؤمن به ايماناً كما يتلقى منه احوال المعاد وغير ذلك مما لا مدخل فيه للعقل وهذه الفرقة الضالة الظاهر من امرها انها مقصرة عن مقصود الشرع في

كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب

التأويل من الشبه المزيغة والبدع المضلة تصنيف الشيخ العلامة ابي
الوليد بن رشد

قال الشيخ الخ ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن
رشد وبعد حمد الله الذي اختص من يشاء بحكمته ووفقهم لفهم شريعته
واتباع سنته واطلع من مكنون علمه ومفهوم وحيه ومقصد رسالة نبية الى
خلقه على ما استبان به عندهم زيغ الزائعين من اهل ملته وتحريف
المبطلين من امته وانكشف لهم ان من التأويل ما لم ياذن الله ورسوله
به وصلواته النامة على امين وحيه وخاتم رسله وعلى آله واسرته فانه لما
كنا قد بينا قبل هذا في قول افردناه مطابقة الحكمة للشرع وامر الشريعة
بها وقلنا هناك ان الشريعة قسبان ظاهر ومؤول وان الظاهر منها فرض
الجمهور وان المؤول هو فرض العلماء واما الجمهور ففرضهم فيه حمله على
ظاهرة وترك تأويله وانه لا يحل للعلماء ان يفصحوا بتأويله للجمهور كما قال
على رضى الله عنه حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله
ورسوله فقد رأيت ان اتخص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي
قصد الشرع حمل الجمهور عليها ونحترى في ذلك كله مقصد الشارع صلعم
بحسب الجهد والاستطاعة فان الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل
الاضطراب في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة كل
واحد منهم يرى انه على الشريعة الاولى وان من خالفه اما مبتدع واما كاف

الشریعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المکترفة فی غاية الحزن والتألم وبخاصة ما عرض لها من ذلك من قبل من ينسب نفسه الى الحکمة فان الاذایة من الصديق هي اشد من الاذایة من العدو اعني ان الحکمة هي صاحبة الشریعة والاخت الرضيعة فالاذایة ممن ينسب اليها اشد الاذایة مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجواهر والغريزة وقد اذاها ايضا كثير من الاصدقاء الجهال ممن ينسبون انفسهم اليها وهي الفرق الموجودة فيها والله يسدّد الکد ويوفق الجميع لمحبته ويجمع قلوبهم على تقواه ويرفع عنهم البغض والشنآن بفضلته ورحمته وقد رفع الله كثيرا من هذه الشرور والجهالات والمسالك المضلّات بهذا الامر الغالب وطرق به الى كثير من الخیرات وبخاصة على الصنف الذين سلكوا مسلك النظر ورغبوا فی معرفة الحق وذلك انه دعا الجمهور من معرفة الله الى طريق وسط ارتفع عن حضيض المقلّدين وانحطّ عن تشغيب المتکلمين ونبه الخواص على وجوب النظر التأم فی اصل الشریعة

کمل

حكمتها وابطل فعلها المقصود في افادة السعادة الانسانية وذلك ظاهر جداً من حال الصدر الاول وحال من اتى بعدهم فان الصدر الاول اتى صار الى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الاقاويل دون تأويلات فيها ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير ان يصرح به واقما من اتى بعدهم فانهم لما استعملوا التأويل قلّ تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقاً فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعبد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شى شى مما كلّفنا اعتقاده ويجهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتأول من ذلك شياً الا اذا كان التأويل ظاهراً بنفسه اعنى ظهوراً مشتركاً للجميع فان الاقاويل الموضوعة في الشرع لتعليم الناس اذا تومتّلت يشبه ان يبلغ من نصرتها الى حد لا يخرج عن ظاهر ما هو منها ليس على ظاهرها الا من كان من اهل البرهان وهذه الخاصة ليست توجد لغيرها من الاقاويل فاذا الاقاويل الشرعية المصرح بها في الكتاب العزيز للجميع لها ثلاث خواص دلت على الاعجاز احداها انه لا يوجد اتم اقناعاً وتصديقاً للجميع منها والثانية انها تقبل النصرة بطبعها الى ان تنتهى الى حد لا يقف على التأويل فيها ان كانت مما فيها تأويل الا اهل البرهان والثالثة انها تتضمن التنبيه لاهل الحق على التأويل الحق وهذا ليس يوجد لا في مذاهب الاشعرية ولا في مذاهب المعتزلة اعنى ان تأويلاتهم لا تقبل النصرة ولا تتضمن التنبيه على الحق ولا هي حق ولهذا كثرت البدع وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه وان انسأ الله في العمر فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه فعسى ان يكون ذلك مبدأ لمن ياتى بعد فان النفس من ما تخلل هذه

تأويلًا فارتفعوا الناس من قبل ذلك في شأن وتباغض وحروب ومزقوا الشرع
 وفرقوا الناس كل التفريق وزائدًا الى هذا كله أنّ طرقهم التي سلكوها في
 اثبات تاويلاتهم ليسوا فيها لا مع الجمهور ولا مع الخواص لكونها اذا تؤمّلت
 ناقصة عن شرائط البرهان وذلك يقف عليه بادنّي تأمل من عرف شرائط
 البرهان بل كثير من الاصول التي بنت عليها الاشعرية معارفها هي
 سوفسطائية فأنها تجحد كثيرًا من الضروريات مثل ثبوت الاعراض وتأثير
 الاشياء بعضها في بعض ووجود الاسباب الضرورية للمسببات والصور الجوهرية
 والوسائط ولقد تعدّى نظارهم في هذا المعنى على المسلمين أنّ فرقة من
 الاشعرية كفرت من ليس يعرف وجود الباري بالطرق التي وضعوها لمعرفة
 في كتبهم وهم الكافرون والضالّون بالحقيقة ومن هنا اختلفوا فقال قوم أوّل
 الراجبات النظر وقال قوم الايمان اعنى من قبل أنّهم لم يعرفوا اى الطرق
 هي الطرق المشتركة للجميع التي دعا الشرع من ابوابها جميع الناس وظنّوا
 ان ذلك طريق واحد فاخطئوا مقصد الشارع وضلّوا واضلّوا فان قيل فاذا
 لم تكن هذه الطرق التي سلكها الاشعرية ولا غيرهم من اهل النظر هي
 الطرق المشتركة الى قصد الشارع لتعليم الجمهور بها وهي التي لا يمكن
 تعليمهم غيرها فأتى الطرق هي هذه الطرق في شريعتنا هذه قلنا هي
 الطرق التي ثبتت في الكتاب العزيز فقط فانّ الكتاب العزيز اذا تؤمّل
 وجدت فيه الطرق الثلاث الموجودة للجميع الناس والطرق المشتركة لتعليم
 أكثر الناس والخاصّة واذا تؤمّل الامر فيها ظهر انه ليس يلفى طرق مشتركة
 لتعليم الجمهور افضل من الطرق المذكورة فيه فمن حرفها بتأويل لا يكون
 ظاهرًا بنفسه او اظهر منها للجميع وذلك شي غير موجود فقد ابطال

ان يروا ان هاهنا اشياء تحفظ الحقّة وتزيل المرض وهذه هي حال من يصّرّح بالتأويل للجمهور ولمن ليس هو باهل له مع الشرع ولذلك هو مفسد له وصاد عنه والصاد عن الشرع كافر وانما كان هذا التمثيل يقينياً وليس بشعرى كما لقائل ان يقول لانه صحيح التناسب وذلك ان نسبة الطبيب الى حقّة الابدان نسبة الشارع الى حقّة الانفس اعنى ان الطبيب هو الذى يطلب ان يحفظ حقّة الابدان اذا وجدت ويستردّها اذا عدمت والشارع هو الذى يبتغى هذا فى حقّة الانفس وهذه الحقّة هي المسماة تقوى وقد صرح الكتاب العزيز بطلبها بالانفعال الشرعية فى غير ما آية فقال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولاكن يناله التقوى منكم وقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الى غير ذلك من الآيات التى تضمنها الكتاب العزيز من هذا المعنى فالشارع انما يطلب بالعلم الشرعى او العمل الشرعى هذه الحقّة وهذه الحقّة هي التى تترتب عليها السعادة الاخرائية وعلى ضدّها الشقاء الاخرائى فقد تبين لك من هذا انه ليس يجب ان تثبت التأويلات الصحيحة فى الكتب الجمهوريّة فضلاً عن الفاسدة والتأويل الصحيح هي الامانة التى حملها الانسان فابى ان يحملها واشفق منها جميع الموجودات اعنى المذكورة فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية ومن قبل التأويلات والظن بانها يجب ان يصّرّح بها فى الشرع نشأت فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضاً وبدّع بعضهم بعضاً وبخاصّة الفاسدة منها فأولت المعتزلة آيات كثيرة واحاديث كثيرة وصرّحوا بتأويلهم للجمهور وكذلك فعلت الاشعرية وان كانوا اقلّ

المصرّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر لكان دعائه للناس الى الكفر وهو صدّ دعوى الشارع وبخاصّة متى كانت تأويلات فاسدة في اصول الشريعة كما عرض ذلك لقوم من اهل زماننا فانا قد شهدنا منهم اقوامًا ظنّوا أنّهم تفلسفوا وأنّهم قد ادركوا بحكمتهم العجيبة اشياء مخالفة للشرع من جميع الوجوه اعنى لا تقبل تأويلاً وأنّ الواجب هو التصريح بهذه الاشياء للجمهور فصاروا بتصريحهم للجمهور بتلك الاعتقادات الفاسدة سبباً لهلاك الجمهور وهلاكهم في الدنيا والآخرة ومثال مقصد هؤلاء مع مقصد الشاوع مثال من قصد الى طبيب ماهر قصد حفظ حقّة جميع الناس وازالة الامراض عنهم بان وضع لهم اقاريل مشتركة التصديق في وجوب استعمال الاشياء التى تحفظ حقّتهم وتزيل امراضهم وتجنّب اضدادها ان لم يمكنه فيهم ان يصيّر جميعهم اطباء لان الذى يعلم الاشياء الحافظة للحقّة والمزيلّة للمرض بالطرق البرهانيّة هو الطبيب فتصدّى هذا الى الناس وقال لهم انّ هذه الطرق التى وضع لكم هذا الطبيب ليست بحقّ وشرع في ابطالها حتى بطلت عندهم او قال انّ لها تأويلات فلم يفهموها ولا وقع لهم من قبلها تصديق في العمل افترى الناس الذين حالهم هذه الحال يفعلون شيئا من الاشياء النافعة في الحقّة وازالة المرض او يقدر هذا المصرّح لهم بابطال ما كانوا يعتقدون فيها ان يستعملها معهم اعنى حفظ الحقّة لا بل ما يقدر هو على استعمالها معهم ولا هم يستعملونها فيشبهلهم الهلاك هذا ان صرّح لهم بتأويلات صحيحة في تلك الاشياء لكونهم لا يفهمون ذلك التأويل فضلاً ان صرّح لهم بتأويلات فاسدة لأنّهم يؤوّل بهم الامر ان لا يروا ان هاهنا حقّة يجب ان تحفظ ولا مرضاً يجب ان يزال فضلاً عن

بعض تأويلات الاشعرية والمعتزلة وان كانت المعتزلة في الاكثر اوثق اقوالاً
وامّا الجمهور الذين لا يقدرّون على اكثر من الاقاويل الخطبية ففرضهم
امرارها على ظاهرها ولا يجوز ان يعلموا ذلك التأويل اصلاً فاذا الناس على
ثلاثة اصناف صنف ليس هو من اهل التأويل اصلاً وهم الخطبتيون الذين هم
الجمهور الغالب وذلك انه ليس يوجد احد سليم العقل يعرى من هذا
النوع من التصديق وصنف هو من اهل التأويل الجدلي وهؤلاء هم الجدليّون
بالطبع فقط او بالطبع والعادة وصنف هو من اهل التأويل اليقيني وهؤلاء
هم البرهانيّون بالطبع والصناعة اعنى صناعة الحكمة وهذا التأويل ليس
ينبغي ان يصّرّح به لاهل الجدول فضلاً عن الجمهور ومتى صرّح بشئ من
هذه التأويلات لمن هو من غير اهلها وبخاصّة التأويلات البرهانية لبعدها
عن المعارف المشتركة افضى ذلك بالمصرّح له والمصرّح الى الكفر والسبب
في ذلك ان مقصوده ابطال الظاهر واثبات المؤول فاذا ابطال الظاهر عند
من هو من اهل الظاهر ولم يثبت المؤول عنده اذاه ذلك الى الكفر ان كان
في اصول الشريعة فالتأويلات ليس ينبغي ان يصّرّح بها للجمهور ولا تثبت
في الكتب الخطبية او الجدلية اعنى الكتب التي الاقاويل الموضوعة فيها من
هذين الجنسين كما صنع ذلك ابو حامد ولهذا يجب ان يصّرّح ويقال في
الظاهر الذى الاشكال في كونه ظاهراً بنفسه للجميع وكون معرفة تأويله غير
ممكن فيهم انه متشابه لا يعلمه الا الله وان الوقف يجب هنا في قوله
عزّوجلّ وما يعلم تأويله الا الله وبمثل هذا يأتى الجواب في السؤال عن
الامور الغامضة التي لا سبيل للجمهور الى فهمها مثل قوله تعالى ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً واما

للاكثر في وقوع التصور والتصديق وهذه الطرق هي في الشريعة على اربعة اصناف احدها ان تكون مع انها مشتركة خاصة في الامرين جميعا اعني ان تكون في التصور والتصديق يقينية مع انها خطبية او جدلية وهذه المقاييس هي المقاييس التي عرض لمقدماتها مع كونها مشهورة او مظنونة ان تكون يقينية وعرض لنتائجها ان اخذت انفسها دون مثالاتها وهذا الصنف من الاقاويل الشرعية ليس له تاويل والجاحد له او المتأول كافر والصنف الثاني ان تكون المقدمات مع كونها مشهورة او مظنونة يقينية وتكون النتائج مثالات للامور التي قصد انتاجها وهذا يتطرق اليه التأويل اعني لنتائجها والثالث عكس هذا وهو ان تكون النتائج هي الامور التي قصد انتاجها نفسها وتكون المقدمات مشهورة او مظنونة من غير ان يعرض لها ان تكون يقينية وهذا ايضا لا يتطرق اليه تاويل اعني لنتائجها وقد يتطرق لمقدماته والرابع ان يكون مقدماته مشهورة او مظنونة من غير ان يعرض لها ان تكون يقينية وتكون نتائجها مثالات لما قصد انتاجه وهذه فرض الخواص فيها التأويل وفرض الجمهور امراها على ظاهرها وبالجملة فكل ما يتطرق اليه من هذه تأويل لا يدرك الا بالبرهان وفرض الخواص فيه هو ذلك التأويل وفرض الجمهور هو حملها على ظاهرها في الوجهين جميعا اعني في التصور والتصديق ان كان ليس في طباعهم اكثر من ذلك وقد يعرض للنظار في الشريعة تأويلات من قبل تفاضل الطرق المشتركة بعضها على بعض في التصديق اعني اذا كان دليل التأويل اتم اقناعا من دليل الظاهر وامثال هذه التأويلات هي جمهورية ويمكن ان يكون فرض من بلغت قوائم النظرية الى القوة الجدلية وفي هذا الجنس يدخل

الاخر اوية والشقاء الاخر اوى والعمل الحق هو امتثال الافعال التي تفيد
 • السعادة وتجنب الافعال التي تفيد الشقاء والمعرفة بهذه الافعال هو الذى
 يسمى العلم العملى وهذه تنقسم قسمين احدهما افعال ظاهرة بدنية
 والعلم بهذه هو الذى يسمى الفقه والقسم الثانى افعال نفسانية مثل الشكر
 والصبر وغير ذلك من الاخلاق التي دعا اليها الشرع او نهى عنها والعلم
 بهذه هو الذى يسمى الزهد وعلوم الآخرة والى هذا نحا ابو حامد فى كتابه
 ولما كان الناس قد اضرَبوا عن هذا الجنس وخاضوا فى الجنس الثانى وكان
 هذا الجنس املك بالتقوى التي سبب السعادة سَمى كتابه احياء علوم
 الدين وقد خرجنا عما كنا بسبيله فنرجع فنقول لما كان مقصود الشرع
 تعليم العلم الحق والعمل الحق وكان التعليم صنفين تصوّرًا وتصديقًا كما
 بين ذلك اهل العلم بالكلام وكانت طرق التصديق الموجودة للناس ثلاث
 البرهانية والجدلية والخطبية وطرق التصوّر اثنتين اما الشى نفسه واما
 • مثاله وكان الناس كلهم ليس فى طباعهم ان يقبلوا البراهين ولا اتاويل
 الجدلية فضلا عن البرهانية مع ما فى تعليم الاتاويل البرهانية من
 العسر والحاجة فى ذلك الى طول الزمان لمن هو اهل لتعلّمها وكان الشرع
 انما هو مقصوده تعليم الجميع وجب ان يكون الشرع يشتمل على جميع
 انحاء طرق التصديق وانحاء طرق التصوّر ولما كانت طرق التصديق منها
 ما هى عامة لاکثر الناس اعنى وقوع التصديق من قبلها وهى الخطبية
 والجدلية والخطبية اعم من الجدلية ومنها ما هى خاصة ولاقل الناس وهى
 البرهانية وكان الشرع مقصوده الاول العناية بالاکثر من غير اغفال لتنبيه
 الخواص كانت اكثر الطرق المصرّح بها فى الشريعة هى الطرق المشتركة

بكتبه والدليل على أنه رام بذلك تنبيه الفطر أنه لم يلزم مذهباً من المذاهب في كتبه بل هو مع الاشاعرة اشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف وحتى أنه كما قيل

يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاتَيْتَ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَقَيْتَ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِ

والذي يجب على أئمة المسلمين أن ينهوا عن كتبه التي تتضمن العلم إلا من كان من أهل العلم كما يجب لهم أن ينهوا عن كتب البرهان من ليس أهلاً لها وإن كان الضرر الداخل على الناس من كتب البراهين أخف لأنه لا يقف على كتب البرهان في الأكثر إلا أهل الفطر الفاتكة وأنما يوتى هذا الصنف من عدم الفضيلة العلمية والقراءة على غير ترتيب واخذها من غير معلم ولاكن سعيها بالجملة صاد لما دعا إليه الشرع لأنه ظلم لأفضل اصناف الناس وأفضل اصناف الموجودات إذ كان العدل في أفضل اصناف الموجودات أن يعرفها على كنهها من كان معداً لمعرفة على كنهها وهم أفضل اصناف الناس فأنه على قدر عظم الموجود يعظم الجور في حقه الذي هو الجهل به ولذلك قال تعالى إن الشرك لظلم عظيم فهذا ما رأينا أن نثبت في هذا الجنس من النظر اعني التكلم بين الشريعة والحكمة واحكام التأويل في الشريعة ولولا شهرة ذلك عند الناس وشهرة هذه المسائل التي ذكرناها لما استخبرنا أن نكتب في ذلك حرفاً ولا أن نعتذر في ذلك لأهل التأويل بعذر لأن شأن هذه المسائل أن تذكر في كتب البرهان والله الهادي والموفق للصواب .٠. وينبغي أن تعلم أن مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق والعمل الحق والعلم الحق هو معرفة الله تعالى وسائر الموجودات على ما هي عليه وبخاصة الشريعة منها ومعرفة السعادة

قوماً ينسبون انفسهم الى البرهان يقولون ان الواجب حملها على ظاهرها
 ان كان ليس هاهنا برهان يؤدى الى استحالة الظاهر فيها وهذه طريقة
 الاشعرية وقوم آخر ممن يتعاطى البرهان يتأولونها وهؤلاء يختلفون فى
 تأويلها اختلافاً كثيراً وفي هذا الصنف هو ابو حامد معدود وكثير من
 المتصوفة ومنهم من يجمع فيها التأويلين كما يفعل ذلك ابو حامد فى بعض
 كتبه ويشبه ان يكون المنحطى فى هذه المسئلة من العلماء معدوماً والمصيب
 مشكوراً او ماجوراً وذلك اذا اعترف بالوجود وتأول فيها نحواً من انحاء
 التأويل اعنى فى صفة المعاد ولا فى وجوده اذا كان التأويل لا يؤدى الى نفي
 الوجود وانما كان جهد الوجود فى هذه كفرًا لانه فى اصل من اصول الشريعة
 وهو مما يقع التصديق به فى الطرق الثلاث المشتركة للاحرر والاسود
 واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتأويلها فى
 حقّه كفر لانه يؤدى الى الكفر ولذلك ما نرى ان من كان من الناس فرضه
 الايمان بالظاهر فالتأويل فى حقّه كفر لانه يؤدى الى الكفر فمن افشاه له
 من اهل التأويل فقد دعاه الى الكفر والداعى الى الكفر كافر ولهذا ما لا
 يجب ألا تثبت التأويلات إلا فى كتب البراهين لانها اذا كانت فى كتب
 البراهين لم يصل اليها إلا من هو من اهل البرهان واما اذا ثبتت فى غير
 كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطبية او الجدلية كما
 يصنعه ابو حامد فخطأ على الشرع وعلى الحكمة وان كان الرجل انما قصد
 خيراً وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم بذلك ولكن كثر بذلك الفساد
 ليس بدون كثرة اهل العلم وتطرق بذلك قوم الى ثلب الحكمة وقوم الى
 ثلب الشريعة وقوم الى الجمع بينهما ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده

فقد ظهر لك من قولنا ان هاهنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله فان كان تأويله في المبادئ فهو كفر وان كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة وهنا ايضا ظاهر يجب على اهل البرهان تأويله وحملهم آياه على ظاهرة كفر وتأويل غير اهل البرهان له واخراجه عن ظاهرة كفر في حقهم او بدعة ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول ولذلك قال عليه السلام في السوداء اذا اخبرته ان الله في السماء اعتقها فانها مؤمنة اذ كانت ليست من اهل البرهان والسبب في ذلك ان الصنف من الناس الذين لا يقع لهم التصديق الا من قبل التخيّل اعنى انه لا يصدقون بالشىء الا من جهة ما يتخيّلونه يعسر وقوع التصديق لهم بوجود ليس منسوباً الى شىء متخيّل ويدخل ايضا على من لا يفهم من هذه النسبة الا المكان وهم الذين شدوا على رتبة الصنف الاول قليلاً في النظر اعتقاد الجسمية ولذلك كان الجواب لهؤلاء في امثال هذه انها من المتشابهة وان الوقف في قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله واهل البرهان مع انهم مجمعون في هذا الصنف انه من المآول فقد يختلفون في تأويله وذلك بحسب مرتبة كل واحد من معرفة البرهان وهاهنا صنف ثالث من الشرع متردد بين هذين الصنفين يقع فيه شك فيلحقه قوم ممن يتعاطى النظر بالظاهر الذى لا يجوز تأويله ويلحقه آخرون بالباطن الذى لا يجوز حمله على الظاهر للعلماء وذلك لعواصة هذا الصنف واشتباهاه والمنحطى في هذا معذور اعنى من العلماء فان قيل فاذا تبين ان الشرع في هذا على ثلاث مراتب فمن اى هذه المراتب الثلاث هو عندكم ما جاء في صفات المعاد واحواله فنقول ان هذه المسئلة الامر فيها بين انها من الصنف المختلف فيه وذلك انا نرى

لا يعرى احد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها بالذى كلف معرفته اعنى الدلائل الخطبية والمجدلية والبرهانية فالجاحد لامثال هذه الاشياء اذا كانت اصلاً من اصول الشرع كافر معاند بلسانه دون قلبه او بغفلته عن التعرض الى معرفة دليلها لانه ان كان من اهل البرهان فقد جعل له سبيل الى التصديق بها بالبرهان وان كان من اهل الجدل فبالجدل وان كان من اهل الموعظة فبالموعظة ولذلك قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويؤمنوا بى يريد باى طريق اتفق لهم من طرق الايمان الثلاث واما الاشياء التى لحفائها لا تعلم الا بالبرهان فقد تلطّف الله فيها لعباده الذين لا سبيل لهم الى البرهان إمّا من قبل فطرهم وإمّا من قبل عاداتهم وإمّا من قبل عدمهم اسباب التعلم بان ضرب لهم امثالها واشباهها ودعاهم الى التصديق بتلك الامثال اذ كانت تلك الامثال يمكن ان يقع التصديق بها بالادلة المشتركة للجميع اعنى المجدلية والخطبية وهذا هو السبب فى ان انقسم الشرع الى ظاهر وباطن فان الظاهر هو تلك الامثال المضروبة لتلك المعانى والباطن هو تلك المعانى التى لا تنجلي الا لاهل البرهان وهذه هى اصناف تلك الموجودات الاربعة او الخمسة التى ذكرها ابو حامد فى كتاب التفرقة واذا اتفق كما قلنا ان نعلم الشئ بنفسه بالطرق الثلاث لم نحتاج ان نضرب له امثالا وكان على ظاهره لا يتطرق اليه تأويل وهذا النجو من الظاهر ان كان فى الاصول فالمتمأول له كافر مثل من يعتقد انه لا سعادة اخراوية هاهنا ولا شقاء وانه انما قصد بهذا القول ان يسلم الناس بعضهم من بعض فى ابدانهم وحواسهم وانها حيلة وانه لا غاية للانسان الا وجوده المحسوس فقط واذا تقرّر هذا

ولذلك قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واى حاكم اعظم من الذى يحكم على الوجود بآته كذا او ليس بكذا وهولاء الحكماء هم العلماء الذين خصهم الله بالتاويل وهذا الخطأ المصفوح عنه في الشرع انما هو الخطأ الذى يقع من العلماء اذا نظروا في الاشياء العويصة التى كلفهم الشرع النظر فيها واما الخطأ الذى يقع من غير هذا الصنف من الناس فهو اثم محض وسواء كان الخطأ في الامور النظرية او العملية فكان الحاكم الجاهل بالسنة اذا اخطأ في الحكم لم يكن معذوراً كذلك الحاكم على الموجودات اذا لم توجد فيه شروط الحكم فليس بمعذور بل هو إما آثم وإما كافر واذا كان يشترط في الحاكم في الحلال والحرام ان تجتمع له اسباب الاجتهاد وهو معرفة الاصول ومعرفة الاستنباط من تلك الاصول بالقياس فكم بالحرى ان يشترط ذلك في الحاكم على الموجودات اعنى ان يعرف الاوائل العقلية ووجه الاستنباط منها وبالجملة فالخطأ في الشرع على ضربين إما خطأ يعذر فيه من هو من اهل النظر في ذلك الشيء الذى وقع فيه الخطأ كما يعذر الطبيب الماهر اذا اخطأ في صناعة الطب والحاكم الماهر اذا اخطأ في الحكم ولا يعذر فيه من ليس من اهل ذلك الشأن وإما خطأ ليس يعذر فيه احد من الناس بل ان وقع في مبادئ الشريعة فهو كفر وان وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة وهذا الخطأ هو الخطأ الذى يكون في الاشياء التى تفضى جميع اصناف طرق الدلائل الى معرفتها فتكون معرفة ذلك الشيء بهذه الجهة ممكنة للجميع وهذا مثل الاقرار بالله تبارك وتعالى وبالنبوات وبالسعادة الاخرية والشقاء الاخرى وذلك ان هذه الاصول الثلاثة يؤدى اليها اصناف الدلائل الثلاثة التى

شانها هذا يجب ان تكون في الغاية من التباعد اعنى ان تكون متقابلة
كما ظن المتكلمون في هذه المسئلة اعنى ان اسم القدم والحدوث في العالم
باسره هو من المتقابلة وقد تبين من قولنا ان الامر ليس كذلك وهذا
كله مع ان هذه الآراء في العالم ليست على ظاهر الشرع فان ظاهر الشرع
اذا تصفح ظهر من الآيات الواردة في الانباء عن ايجاد العالم ان صورته
محدثة بالحقيقة وان نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين اعنى غير
منقطع وذلك ان قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء يقتضى بظاهره ان وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش
والماء وزماناً قبل هذا الزمان اعنى المقترن بصورة هذا الوجود الذى هو عدد
حركة الفلك وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات يقتضى ايضا
بظاهره ان وجوداً ثانياً بعد هذا الوجود وقوله تعالى ثم استوى الى السماء
وهي دخان يقتضى بظاهره ان السموات خلقت من شيء والمتكلمون
ليسوا في قولهم ايضا في العالم على ظاهر الشرع بل متأولون فانه ليس في
الشرع ان الله كان موجوداً مع العدم المحض ولا يوجد هذا فيه نصاً
ابداً فكيف يتصور في تأويل المتكلمين في هذه الآيات ان الاجماع انعقد
عليه والظاهر الذى قلناه من الشرع في وجود العالم قد قال به فرقة من
الحكماء ويشبه المختلفون في هذه المسائل العويصة إما مصيبون مأجورون
وإما مخطئون معذورون فان التصديق بالشئ من قبل الدليل القائم في
النفس هو شيء اضطرارى لا اختياري اعنى انه ليس لنا ان لا نصدق او
نصدق كما لنا ان نقوم او لا نقوم واذا كان من شرط التكليف الاختيار
فالمصدق بالخطأ من قبل شبهة عرضت له اذا كان من اهل العلم معذور

بالحسّ مثل تكوّن الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع من القدماء والأشعرّيين على تسميتها محدثة وأما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شى ولا عن شى ولا تقدّمه زمان وهذا ايضا اتفق الجميع من الفرقتين على تسميته قديما وهذا الموجود مدرك بالبرهان وهو الله تبارك وتعالى الذى هو فاعل الكل وموجده والحافظ له سبحانه وتعالى قدرة ... وأما الصنف من الموجود الذى بين هذين الطرفين فهو موجود لم يكن من شى ولا تقدّمه زمان ولا كنه موجود عن شى اعنى عن فاعل وهذا هو العالم بأسره والكلّ منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم فان المتكلمين يستلمون أنّ الزمان غير متقدم عليه او يلزمهم ذلك ان الزمان عندهم شىء مقارن للحركات والاجسام وهم ايضا متفقون مع القدماء على أنّ الزمان المستقبل غير متناه وكذلك الوجود المستقبل وأما يختلفون فى الزمان الماضى والوجود الماضى فالتكلمون يرون أنّه متناه و هذا هو مذهب افلاطون وشيعته وأرسطو وفرقته يرون أنّه غير متناه كالحال فى المستقبل فهذا الوجود الآخر الامر فيه بين أنّه قد اخذ شيها من الوجود الكائن الحقيقى و من الوجود القديم فمن غلب عليه ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سمّاه قديماً ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سمّاه محدثاً وهو فى الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً فان المحدث الحقيقى فاسد ضرورة والقديم الحقيقى ليس له علّة ومنهم من سمّاه محدثاً ازلياً وهو افلاطون وشيعته لكون الزمان متناه عندهم من الماضى فالمذاهب فى العالم ليست تتباعد كل التباعد حتى يكفر بعضها ولا يكفر فانّ الآراء

العلميين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل فاسم العلم اذا قيل على العلم المحدث و القديم فهو مقول باشتراك الاسم المحض كما يقال كثير من الاسماء على المتقابلات مثل الجدل المقول على العظيم والصغير والصريم المقول على الضوء والظلمة ولهذا ليس هاهنا حدّ يشمل العلمين جميعاً كما توهمه المتكلمون من اهل زماننا وقد افردنا في هذه المسئلة قولاً حركنا اليه بعض اصحابنا وكيف يتوهم على المشائين انهم يقولون انه سبحانه لا يعلم بالعلم القديم الجزئيات وهم يرون ان الرويا الصادقة تتضمن الانذارات بالجزئيات الحادثة في الزمان المستقبل وان ذلك العلم المنذر يحصل للانسان في النوم من قبل العلم الازلي المدبر للكل والمستولى عليه وليس يرون انه لا يعلم الجزئيات فقط على النحو الذي نعلمه نحن بل ولا الكليات فان الكليات المعلومة عندنا معلولة ايضاً عن طبيعة الموجود والامر في ذلك العلم بالعكس ولذلك ما قد ادّعى اليه البرهان ان ذلك العلم منزّه عن ان يوصف بكليّ او بجزئيّ فلا معنى للاختلاف في هذه المسئلة اعنى في تكفيرهم او لا تكفيرهم واما مسئلة قدم العالم او حدوثه فان الاختلاف فيها عندى بين المتكلمين من الاشعرية وبين الحكماء المتقدمين يكاد ان يكون راجعاً للاختلاف في التسمية وبخاصة عند بعض القدماء وذلك انهم اتفقوا على ان هاهنا ثلاثة اصناف من الموجودات طرفان وواسطة بين الطرفين فاتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة فاما الطرف الواحد فهو موجود وجد من شيء غيره و عن شيء اعنى عن سبب فاعل و من مادة و الزمان متقدم عليه اعنى على وجوده وهذه هي حال الاجسام التى يدرك تكونها

تأويل ما جاء فى حشر الاجساد واحوال المعاد قلنا الظاهر من قوله فى ذلك انه ليس تكفيره اياهما فى ذلك قطعاً اذ قد صرح فى كتاب التفرقة ان التكفير بخرق الاجماع فيه احتمال وقد تبين من قولنا انه ليس يمكن ان يتقرر اجماع فى امثال هذه المسائل لما روى عن كثير من السلف الاول فضلا عن غيرهم ان هاهنا تأويلات لا يجب ان يفصح بها الا لمن هو من اهل التأويل وهم الراسخون فى العلم لان الاختيار عندنا هو الوقوف على قوله تعالى والراسخون فى العلم لانه اذا لم يكن اهل العلم يعلمون التأويل لم تكن عندهم مزية تصديق توجب لهم من الايمان به ما لا يوجد عند غير اهل العلم وقد وصفهم الله بانهم المؤمنون به وهذا انما يحمل على الايمان الذى يكون من قبل البرهان وهذا لا يكون الا مع العلم بالتأويل فان غير اهل العلم من المؤمنين هم اهل الايمان بها لا من قبل البرهان فان كان هذا الايمان الذى وصف الله به العلماء خاصاً بهم فيجب ان يكون بالبرهان واذا كان بالبرهان فلا يكون الا مع علم التأويل لان الله عز وجل قد اخبر ان لها تأويلاً هو الحقيقة والبرهان لا يكون الا على الحقيقة واذا كان ذلك كذلك فلا يمكن ان يتقرر فى التأويلات التى خص الله العلماء بها اجماع مستفيض وهذا بين بنفسه عند من انصف الى هذا كله فقد نرى ان ابا حامد قد غلط على الحكماء المشائين فيما نسب اليهم من انهم يقولون انه تقدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلاً بل يرون انه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدث بحدوثه ومتغير بتغيره وعلم الله سبحانه بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذى هو الموجود فمن شبه

ان يتقررّ الاجماع في مسألة ما في عصر ما ألا بان يكون ذلك العصر عندنا محصورا وان يكون جميع العلماء الموجودين في ذلك العصر معلومين عندنا اعنى معلوما اشخاصهم ومبلغ عددهم وان ينقل اليينا في المسئلة مذهب كل واحد منهم فيها نقل تواتر ويكون مع هذا كله قد صحّ عندنا ان العلماء الموجودين في ذلك الزمان متفقون على انه ليس في الشرع ظاهر وباطن وان العلم بكذ مسألة يجب ألا يكتم عن احد وان الناس طريقهم واحد في علم الشريعة وأما وكثير من الصدر الاول قد نقل عنهم انهم كانوا يرون ان للشرع ظاهرا وباطنا وأنه ليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ولا يقدر على فهمه مثل ما روى البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله ومثل ما روى من ذلك عن جماعة من السلف فكيف يمكن ان يتصور اجماع منقول اليينا عن مسألة من المسائل النظرية ونحن نعلم قطعا أنه لا يخلو عصر من الاعصار من علماء يرون ان في الشرع اشياء لا ينبغي ان يعلم بحقيقتها جميع الناس وذلك بخلاف ما عرّض في العمليات فان الناس كلهم يرون افشاءها لجميع الناس على السواء ويكتفي حصول الاجماع فيها بان تنتشر المسئلة فلا ينقل اليينا فيها خلاف فان هذا كلف في حصول الاجماع في العمليات بخلاف الامر في العمليات فان قلت واذا لم يجب التكفير بخرق الاجماع في التأويل اذ لا يتصور في ذلك اجماع فما تقول في الفلاسفة من اهل الاسلام كابى نصر وابن سينا فان ابا حامد قد قطع بتكفيرهما في كتابه المعروف بالتهافت في ثلاث مسائل في القول بقديم العالم وبأنه تعالى لا يعلم الجزئيات تعالى عن ذلك وفي

ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربى وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب بها مؤمن وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع يخالف بظاهرة لما ادى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهرة لذلك التأويل او يقارب ان يشهد ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل واختلفوا في الماويل منها من غير المتأويل فالاشعريون مثلاً يتأولون آية الاستواء وحديث النزول والحنبلة تحمل ذلك على ظاهرة والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين مزاجهم في التصديق والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراشحين في العلم على التأويل الجامع بينهما .. فالى هذا المعنى وردت الاشارة بقوله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمة الى قوله والراشحون في العلم فان قال قائل ان في الشرع اشياء قد اجمع المسلمون على حملها على ظواهرها واشياء على تأويلها واشياء اختلفوا فيها فهل يجوز ان يودى البرهان الى تأويل ما اجمعوا على ظاهرها او ظاهرها ما اجمعوا على تأويلها قلنا اما لو ثبت الاجماع بطريق يقينى لم يصح وان كان الاجماع فيها ظنياً فقد يصح ولذلك قال ابو حامد وابو المعالى وغيرهما من ائمة النظر انه لا يقطع بكفر من خرق الاجماع في التأويل في امثال هذه الاشياء وقد يدل ذلك على ان الاجماع لا يتقرر في النظرىات بطريق يقينى كما يمكن ان يتقرر في العمليات انه ليس يمكن

دعت الناس من هذه الطرق الثلاث عم التصديق بها كل انسان الا من
يجهلها عنا دأ بلسانه او لم تتقرر عنده طرق الدعاء فيها الى الله
تعالى لاغفاله ذلك من نفسه ولذلك خص عليه السلام بالبعث الى الاحمر
و الاسود اعني لتضمن شريعته طرق الدعاء الى الله تعالى وذلك صريح
في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى
هى احسن ... واذا كانت هذه الشرايع حقاً وداعية الى النظر المؤدى الى
معرفة الحق فانما معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدى النظر
البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه
ويشهد له واذا كان هذا هكذا فان ادّى النظر البرهاني الى نحو ما من
المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود ان يكون قد سكّت عنه في الشرع
او عرّف به فان كان ممّا سكّت عنه فلا تعارض هناك وهو بمنزلة ما سكّت
عنه من الاحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي وان كانت الشريعة
نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موافقاً لما ادّى اليه البرهان
فيه او مخالفاً فان كان موافقاً فلا قول هناك وان كان مخالفاً طلب هناك
تأويله ومعنى التأويل هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة
المجازية من غير ان يخلّ في ذلك بعادة لسان العرب في التجوّز من
تسمية الشئ بشبيهه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء
التي عودت في تعريف اصناف الكلام المجازي واذا كان الفقيه يفعل هذا
في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحرى ان يفعل ذلك صاحب العلم
بالبرهان فان الفقيه اتّما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني
ونحن نقطع قطعاً ان كلّ ما ادّى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان

هو اهل للنظر فيها فان هذا النحو من الضرر الداخلى من قبلها هو
 شىء لحقها بالعرض لا بالذات وليس يجب فيما كان نافعا بطبا عه وذاته
 ان يترك لمكان مضره موجودة فيه بالعرض ولذلك قال عليه السلام
 للذى امره بسقى العسل اخاه لاسهال كان فيه فتزيد الا سهال به لما سقاه
 العسل وشكا ذلك اليه صدق الله وكذب بطن اخيك بل نقول ان مثل
 من منع النظر في كتب الحكمة من هو اهل لها من اجل ان قوما من
 اراذل الناس قد يظن بهم انهم ضلوا من قبل نظرهم فيها مثل من منع
 العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لان قوما شر قوا به فماتوا
 فان الموت عن الماء بالشرق امر عارض وعن العطش ذاتى وضرورى وهذا
 الذى عرض لهذه الصناعة هو شى عارض لسائر الصنائع فكم من فقيه
 كان الفقه سببا لقله تورعه وخوضه فى الدنيا بل اكثر الفقهاء هكذا نجد
 وصناعتهم انما تقتضى بالذات الفضيلة العمليّة فاذا لا يبعد ان يعرض فى
 الصناعة التى تقتضى الفضيلة العمليّة ما عرض فى الصناعة التى تقتضى
 الفضيلة العلميّة واذا تقرّر هذا كله وكنا نعتقد معشر المسلمين ان شريعتنا
 هذه الالهية حق وانها التى نبهت على هذه السعادة ودعت اليها التى
 هى المعرفة بالله جلّ وعزّ وبمخلوقاته وانّ ذلك متقرّر عند كلّ مسلم
 من الطريق الذى اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق وذلك ان طباع
 الناس متفاضلة فى التصديق فمنهم من يصدّق بالبرهان ومنهم من
 يصدّق بالاقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان ان ليس فى طباعه
 اكثر من ذلك ومنهم من يصدّق بالاقاويل الخطبية كتصديق صاحب
 البرهان بالاقاويل البرهانية وذلك انه لما كانت شريعتنا هذه الالهية قد

اصول الفقه و الفقه نفسه لم يكمل النظر فيها الا في زمن طويل ولو رام
 انسان اليوم من تلقاء نفسه ان يقف على جميع الحجج التي استنبطها
 النظار من اهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وضعت المناظرة فيها بينهم
 في معظم بلاد الاسلام ما عدا المغرب لكان اهلا ان يضحك منه لكون ذلك
 ممتنعا مع وجود ذلك مفروغا منه وهذا امر يتبين بنفسه ليس في الصنائع
 العملية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد
 بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة واذا كان هذا هكذا فقد يجب
 علينا ان ألفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً
 لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قاله من ذلك
 وما اثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به
 وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبتها عليه وحدارنا منه
 وعذرناهم فقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع
 ان كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه
 وان من نهى عن النظر فيها من كان اهلا للنظر فيها وهو الذي جمع
 امرين احدهما ذكاء الفطرة والثاني العدالة الشرعية والفضيلة الخلقية
 فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو
 باب النظر المودى الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن
 الله تعالى وليس يلزم من انه ان غوى غاو بالنظر فيها وزل زال إما من
 قبل نقص فطرته وإما من قبل سوء ترتيب نظره فيها او من قبل غلبة
 شهواته عليه او انه لم يجد معلماً يرشده الى فهم ما فيها او من قبل
 اجتماع هذه الاسباب فيه او أكثر من واحد منها ان تمنعها عن الذي

ليس يعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة او غير
 مشارك اذا كانت فيها شروط العتة واعنى بغير المشارك من نظر في هذه
 الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام واذا كان الامر هكذا وكان كل ما
 يحتاج اليه من النظر في امر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم
 فحص فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك
 فان كان كل صوابا قبلناه منهم وان كان فيه ما ليس بصواب نبتها عليه
 فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التي بها
 نقدر على الاعتبار في الموجودات ودلالة الصنعة فيها فان من لا يعرف
 الصنعة لا يعرف المصنوع ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع فقد يجب
 ان نشرع في الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذي استفدناه
 من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وبين ايضا ان هذا الغرض انما
 يتم لنا في الموجودات بتداول الفحص عنها واحدا بعد واحد وان يستعين في
 ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ما عرض في علوم التعاليم فانه لو فرضنا
 صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة علم الهيئة ورام
 انسان واحد من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها
 وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك مثل ان يعرف قدر الشمس من
 الارض وغير ذلك من مقادير الكواكب ولو كان اذكى الناس طبعاً الا بوحى
 او شيء يشبه الوحى بل لو قيل له ان الشمس اعظم من الارض بنحو مائة
 وخمسين ضعفا او ستين لعد هذا القول جنونا من قائله وهذا شيء قد
 قام عليه البرهان في علم الهيئة قياماً لا يشك فيه من هو من اصحاب ذلك
 العلم واما الذى احوج في هذا الى التمثيل بصناعة التعاليم فهذه صناعة

من النظر منزلة الآلات من العمل فأنه كما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه في الاحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على انواعها وما منها قياس وما منها ليس بقياس كذلك يجب على العارف ان يستنبط من الامر بالنظر في الموجودات وجوب معرفة القياس العقلي وانواعه بل هو احرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار وجوب معرفة القياس الفقهي فبالحرى ان يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلي وليس لقائل ان يقول ان هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة اذ لم يكن في الصدر الاول فان النظر ايضا في القياس الفقهي وانواعه هو شيء استنبط بعد الصدر الاول وليس يرى انه بدعة فكذلك يجب ان نعتقد في النظر في القياس العقلي ولهذا سبب ليس هذا موضع ذكره بل اكثر اصحاب هذه الملة مثبتون القياس العقلي الآ طائفة من الحشوية قليلة وهم محجوجون بالنصوص واذا تقرر انه يجب بالشرع النظر في القياس العقلي وانواعه كما يجب النظر في القياس الفقهي فبين انه ان كان لم يتقدم احد ممن قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه انه يجب علينا ان نبتدئ بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم حتى تكمل المعرفة به فانه عسير او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقائه وابتداء على جميع ما يحتاج اليه من ذلك كما انه عسير ان يستنبط واحد جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهي بل معرفة القياس العقلي احرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركا لنا او غير مشارك في الملة فان الآلة التي تصح بها التركيب

ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى مثل قوله فاعتبروا يا أولى الابصار وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي او العقلي والشرعي معاً ومثل قوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وهذا نص بالحث على النظر في جميع الموجودات واعلم تعالى ان من خصه بهذا العلم وشرفه ابراهيم عم فقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الآية وقال تعالى افلا ينظرون الى الابد كيف خلقت والى السماء كيف رفعت وقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها وكان الاعتبار ليس شياً أكثر من استنباط الجاهل من المعلوم واستخراج منه وهذا هو القياس او بالقياس فواجب ان نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي وبيّن ان هذا النحو من النظر الذي دعا اليه الشرع وحث عليه هو اتم انواع النظر باتم انواع القياس وهو المسمّى برهاناً واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان كان من الافضل او الامر الضروري لمن اراد ان يعلم الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات بالبرهان ان يتقدّم اولاً فيعلم انواع البراهين وشروطها وبما ذا يخالف القياس البرهاني القياس الجدلي والقياس الخطبي والقياس المغالطي وكان لا يمكن ذلك دون ان يتقدّم فيعرف قبل ذلك ما هو القياس المطلق وكم انواعه وما منها قياس وما منها ليس بقياس وذلك لا يمكن ايضا او يتقدم فيعرف قبل ذلك اجزاء القياس التي منها تقدمت اعني المقدمات وانواعها فقد يجب على المؤمن بالشرع المبتذل امره بالنظر في الموجودات ان يتقدم قبل النظر فيعرف هذه الاشياء التي تنتزل

كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

تأليف القاضي الامام العالم المتفطن ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد

قال الفقيه الاجلّ الاوحد العلامة الصدر الكبير القاضي الاعدل ابو
الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن احمد بن رشد رضى الله
عنه ورحمه

اما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة على محمد عبده المطهر المصطفى
ورسوله فان الغرض من هذا القول ان نفحص على جهة النظر الشرعى هل
النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع ام محظور ام مأمور به اما
على جهة النذب واما على جهة الوجوب فنقول ان كان فعل الفلسفة ليس
شيئاً اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع
اعنى من جهة ما هي مصنوعات فان الموجودات انما تدل على الصانع
لمعرفة صنعتها وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم كانت المعرفة بالصانع
اتم وكان الشرع قد نذب الى اعتبار الموجودات وحث على ذلك فبين ان ما
يدل عليه هذا الاسم اما واجب بالشرع واما مندوب اليه فاما ان الشرع
دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به فذلك بين في غير

1

VIII

Correcturen aufmerksam. **1.** 7. **نخص** — **14.** das letzte Wort **التى** gehört an das Ende von Seite 12. — **19.** 13. **الاتاويل** — **21.** 3. — **ياتى** 21. **25.** — **الشارع** 7. **22.** — **الناس** nach **في الشريعة** — **28.** 14. **نبتدى** — **29.** 12. **الشارع** vor **صلعم** — **30.** 6. **واما** statt **واتما** — **32.** 14. **اتما** nach **هذا** — **31.** 17. **هاهنا** nach **ذلك** — **34.** 13. **اتما** nach **النظار** — **35.** 17. **خلف** statt **خلو** — **42.** 9. — **44.** 2. **البدن** statt **الانسان** — **43.** 14. **بالناس** statt **في الانسان** — **47.** 8. **هى** nach **ذلك** — **48.** 4. **كثيرة** nach **آلهة** statt **لها** — **54.** 12. **لا فهم** — **62.** 7. **تصور** nach **عسر** — **63.** 19. **له** nach **يثل** — **64.** 10. **لهم** — **64.** 7. **لخالق** — **64.** 7. **ماهية** — **70.** 7. **هذه** nach **حال** — **73.** 14. **صححة** — **75.** 8. **قالوا** nach **الجسم** — **78.** 1. **ظاهرة** — **79.** 4. **الرسل** — **87.** ult. **الذى** nach **الثقل** — **88.** 15. **الموجودة** — **94.** 7. **الجواز** — **94.** 20. **فى نفسه** nach **الامر** — **96.** 13. **علي يديه** — **98.** 15. **ان** — **103.** 7. **ابرى** — **107.** 7. **اتما** nach **ايضا** — **111.** 8. **فى** vor **وجودها** — **111.** 13. **الجنين** — **117.** 16. **معرفته** — **خطبى** statt **خطابى** passim

M. J. Müller.

V o r w o r t.

Als erste Frucht der gelehrten Mission, welche ich im Auftrage Seiner Majestät des Königs **Maximilian II.** von Bayern nach Spanien übernommen habe, erscheinen hiemit drei Abhandlungen des grossen Aristotelikers *Ibn Roschd*, welche sich auf die Verbindung der Philosophie und Theologie beziehen.

Sie sind aus der Handschrift des Escorials n°. 632 (bei Casiri n°. 629) genommen.

Die Uebersetzung und Erläuterungen, welche den Texten gleich anzuschliessen wünschenswerth gewesen wäre, aber durch die Umstände unmöglich geworden ist, werden baldigst nachfolgen.

Die Kürze der Zeit, in welcher die Abschrift genommen werden musste und der Druck betrieben wurde, war Ursache, dass einige Unvollkommenheiten sich eingeschlichen haben. Abgesehen von Verschiebungen oder Auslassungen von Teschdiden und ähnlichen Kleinigkeiten, die jeder Kundige leicht verbessert, mache ich auf folgende

ثلاث رسائل
للشيخ الأجل العلامة أبي الوليد محمد
بن رشد

~~Sen 408,3~~
OK 20510:1

1000000

Pierre Ford

PHILOSOPHIE UND THEOLOGIE

VON

AVERROES.

HERAUSGEGEBEN

VON

MARCUS JOSEPH MÜLLER.

MÜNCHEN, 1859.

IN COMMISSION BEI G. FRANZ.

MONUMENTA SAECULARIA.

HERAUSGEGEBEN

VON DER

KÖNIGLICH BAYERISCHEN AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN

ZUR

FEIER IHRES HUNDERTJÄHRIGEN BESTEHENS

AM 28. MÆRZ 1859.

I. CLASSE.

3. M. J. MÜLLER: PHILOSOPHIE UND THEOLOGIE VON AVERROES.



MÜNCHEN.

IN COMMISSION BEI G. FRANZ.

OL 20510.1



Harvard College Library

BOUGHT WITH INCOME

FROM THE BEQUEST OF

HENRY LILLIE PIERCE
OF BOSTON

Under a vote of the President and Fellows
October 24, 1898

WIDENER



HN BMPS /

